

محمود حمدي زقزوق الصدىق والأستاذ والمهاور والمصلح والفلسوف

د. حسن حنفي(*)

١- الصدىق

رأبته لأول مرة عام ١٩٧٦ فى اجتمع بمنظمة التربية والثقافة والعلوم عندما كانت فى الدور الخامس فى إحدى العمارات المرتفعة بالدقى لعمل خطة لإحياء التراث العربى الإسلامى. وعرضت تصنيف القءماء للعلوم على ثلاثة أنواع: العلوم النقلية العقلية الأربعة: علم أصول الدين، علم أصول الفقه، وعلوم الحكمة، وعلوم التصوف، والعلوم العقلية الخالصة، الرياضىة مثل الحساب والفلك والجبر والهندسة والموسيقى، أو الطبعىة مثل المعادن والنبات والحيوان والطب والصدىلة، والعلوم النقلية الخالصة الخمسة: القرآن والحديث والتفسىر والسيرة والفقه. وسرعان ما وافقنى بعد أن اختلف الأعضاء مدة حول أفضل تقسىم. رأيت فىه الحكمة والاتزان والموضوعىة والتجرد عن الذات وقلة الحديث والصبر والعقلانىة والصوت المنخفض وحسن المعاملة والاستماع لما يقوله الآخرون قبل التعبير عن رأبه وإسماعه. كان ذا علم راسخ، وعقل راجح، ونفس طويل، وقصد خالص، وصدر رحب. ثم توقف المشروع بعد زيارة القدس فى نوفمبر ١٩٧٧، واتفاقىة كامب دىفيد فى ١٩٧٨ ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائىل فى ١٩٧٩، ونقل الجامعة العربىة من القاهرة، ونقل نشاطها إلى تونس وفى سنوات القطىعة بين مصر والوطن العربى.

وانقطعت بنا السبل حتى ربطتنا الجمعىة الفلسفىة المصرىة من جدىد وانضمامه إليها عضوا وهو عمىدا لكلىة أصول الدين بجامعة الأزهر مع كثر

(*) .أستاذ الفلسفة غير المتفرغ، كلىة الآداب، جامعة القاهرة، مصر.

من أساتذة الكلية. وكنت أراه كيف يدير الكلية بروح الأب والأستاذ والزميل دون تعال أو ترفع أو زهو. مكتبه مفتوح دون سكرتارية التي كانت على الصف الآخر. يجلس الجميع مع كأنهم في رواق من أروقة الأزهر العريقة. كان بملابس مدنية غربية، ولكن روحه كانت أزهرية إسلامية شرقية. كانت رأسه عارية بلا طربوش ولا عمة. فما بها من حكمة ترفض كل غطاء عليها. لم يكن يرفض لنا طلبا. كان دائما في خدمة الجميع، وتحت تصرف الكل. يفعل ما فيه الصالح العام. كان أكثر من عميد، يدير أمة مصغرة، أمة الكلية والجامعة قبل أن يتولى شئون المسلمين. كان قادرا على التعامل مع جميع المجموعات والشلل من أساتذة الفلسفة في مصر. كان أبا للجميع، قادرا على الحوار مع أبنائه مهما تشعبت أهواؤهم وتضاربت مصالحهم، وتباعدا في الزمان والمكان. كان كبير العائلة طبقا للمثل المصرى المعروف "أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة". يضاف إلى ذلك جسده المعتدل، وقوامه الرشيق، ولباسه الأنيق. وجلسته وراء مكتب العمادة تحسبه زعيما أو قائدا أو إماما أو بتعبير الفلاسفة "الشيخ الرئيس". كان يستحق أكثر من المنصب الذى هو فيه.

وانتخب رئيسا للجمعية عام ١٩٩٦. وكان على ما أذكر رابع رئيس لها وأطولها مدة بعد إبراهيم بيومى مذكور، وأبو الوفا التفتازانى، ومحمد عبد الهادى أبو ريده. وفى رئاسته تحولت الجمعية من ضيف ثقيل على قسم الفلسفة بأداب القاهرة إلى مؤسسة مستقلة لها مقرها وميزانيتها وندواتها الشهرية ومؤتمراتها السنوى وإصداراتها وسمعتها فى الداخل والخارج. أصبحت بيت الفلاسفة المصريين والعرب. وكان بشخصه وحكمته وعمله وسيرته مانعا للصواعق فى زمن يُكفّر فيه الفلاسفة والمفكرون. لم يبخل عليها من ماله الخاص أو من جهده مع وزارة الثقافة أو محافظى الإسكندرية والإسماعيلية. وما زال يرعاها ويشرف عليها ويفتتح ندوتها السنوية. فأعطى الجمعية ثقلاً علميا

واجتماعيا وإداريا. أصبح عصيها ورأسها. تلجأ إليه الجمعية كلما ضاقت بها السبل، وانسدت أمامها الطرق.

وهذه تحية له في عيده الماسى. فقد بلغ الخامسة والسبعين العام الماضى ٢٠٠٨. ويصدر هذا الكتاب التذكارى متأخرا عاما عن الموعد، بشارة بعمر مديد، بعد الاطمئنان على الجمعية ودورها التاريخى منذ ١٩٧٦ ما يزيد على الثلاثين عاما، جيلا بأكمله. فتستأنف الأجيال القادمة ما حاول هذا الجيل بناءه تواملا مع أول محاولة لتأسيس الجمعية من منصور فهمى عام ١٩٤٤ وتوقفها بعد الحرب ثم استئناف محمود قاسم إصداراتها فى أوائل الثورة. من أعضائها: عثمان أمين، أبو العلا عفيفى وغيرهم من الأساتذة الراحلين.

وأكبر تحية للصدى هو عرض أعماله كما هى عليها حرصا على الموضوعية والحياد، وقراءة فكره من منظور آخر من أجل إثراء الفكر الفلسفى عن طريق الحوار. ودون ذلك يتحول الاحتفاء إلى مدح وإطراء. وهو ليس طريق الفلاسفة، «قتل الخراصون»، «ودوا لو تدهن فيدهنون».

ويمكن عرض الأعمال بطريقتين. الأولى العرض الموضوعى طبقا لتجميع الموضوعات المتشابهة فى محور واحد مثل الفلسفة الحديثة، الفلسفة الإسلامية، الفلسفة العامة، الفلسفة المقارنة، الاستشراق، الحوار الحضارى، علم الأخلاق، الواقع الإسلامى المعاصر. والثانية التطور الزمانى للمؤلفات التى تكشف عن مراحل الفكر. وربما تلتقى الطريقتان الموضوعية والزمانية أو ما يسميه البنيويون التزامنية Synchronic والتتابعية Diachronic فى محاور واحدة، أستاذ الفلسفة للطلاب، ومحاور الآخر للغرب. فالبنية لا تتعارض مع التاريخ. فإذا كان للصدى خمسة وعشرون عملا فإن أحد عشر عملا فى المرحلة الأولى وأربعة عشر عملا فى المرحلة الثانية. أما العمل الخامس والعشرون "الإسلام وقضايا الحوار" ٢٠٠٢، فهو ترجمة عربية للنص الألمانى

Der Islam und die fragen des Dialogs ٢٠٠٤ مع إضافة أربعة فصول جديدة فى الترجمة العربية. فالإنتاج غزير ومتنوع.

ويمكن عرض المحورين بطريقتين. الأولى الأعمال التى تكون كل محور، واحدا وراء الآخر حتى ولو تكررت الموضوعات. وهو تكرار زائد لا يفيد. والثانية تجميع الموضوعات داخل كل محور وتمثلها فى الأعمال. فالموضوع هو الأصل والكتاب هو الفرع. وهو الأفضل.

وهى قراءة من منظور مشروع "التراث والتجديد" من أجل إثراء المشروعين بالمقارنة بينهما كما حدث من قبل مع مشروع لامع آخر "نقد الفكر العربى"^(١). لا خطأ ولا صواب، بل تعدد وجهات النظر، فالصواب متعدد عن فريق من الفقهاء. ولا حق ولا باطل بل منظورا. والحق هو الجمع بينهما كما فعل الفارابى فى "الجمع بين رأى الحكيمين". والمنظورات تتكامل ولا تتضارب. لا يوجد "رأى معاكس" بل "رأى بديل". وقد تتبدل الآراء بتبدل المواقف، وتتغير المنظورات بتغير العصور. كلانا من جيل واحد بفارق سنتين، كلانا من الأسرة الفلسفية. هو أزهرى أوروبى وأنا إخوانى أوروبى. هو إسلامى مستنير مثل معظم المصلحين، وأنا يسار إسلامى مازال يبحث عن رفيق مثل على شريعته. ويرحب الصديق بروح النقد لفكره إثراء للفكر الفلسفى ضد الصياغات المتحجرة. فالفلسفة لا تتوقف بل هى جهد مستمر^(٢). وطالما نبه على أهمية

(١). "نقد الفكر العربى" قراءة من وجهة نظر "التراث والتجديد"، محمد عابد الجابرى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٥.

(٢). "الفلسفة حركة مستمرة، والفكر الفلسفى لا يمكن أن يقف أو يجمد عند صيغ متحجرة ولكنه مستمر فى حركته وفى سيره وفى تدفقه طالما كان هناك إنسان فى هذا الوجود... إننا نرحب بكل نقد بناء يوجه إلى هذا الكتاب، ونفتح صدرنا لكل الملاحظات الجادة"، تمهيد للفلسفة ص ٦.

الاتجاه النقدي وحاجتنا إلى النقد. أشاد بكانط وبدور العقل في النقد وبضرورة تجاوز القدامى والاتحام بقضايا العصر^(١).

٢- الأستاذ.

ويمكن التعرف على ثلاث مراحل في الحياة العلمية للصيديق. الأولى الأستاذ عندما كان أستاذا بكلية أصول الدين فعميدا فنائبا لرئيس جامعة الأزهر على مدى عقدين من الزمان من سن الأربعين إلى الستين تقريبا منذ "مقدمة في علم الأخلاق" ١٩٧٢ حتى "الإسلام في تصورات الغرب" ١٩٨٧، أحد عشر كتابا، منهم مترجم واحد "مدخل إلى الفكر الفلسفي" لجوزيف بوخينسكى ١٩٧٣. ومراجعة واحدة "محاضرات في فلسفة التاريخ لهيجل"، الجزء الثانى العالم الشرقى، ونشر واحد ١٩٨٦، ثلاث رسائل فى المعرفة للغزالي ١٩٧٢-١٩٧٩. يغلب عليها التأليف الجامعى لفائدة الطلاب كما يفعل معظم الأساتذة فى بداية حياتهم الجامعية، عندما كان أستاذا فعميدا لكلية أصول الدين^(٢).

فالكتاب الأول فى مرحلة الأستاذ حتى قبل نشر ملخص عربى للرسالة باللغة الألمانية عن الغزالي وديكارت، ملخص محاضرات الجامعة. الغاية من إفادة الطلاب فى مادة الفلسفة بوجه عام وعلم الأخلاق بوجه خاص وهو "مقدمة

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة ص١٨٣-٢١٤، نقد الآخر، ضرورة النقد الذاتى، هموم الأمة الإسلامية ص٢١٣-٢١٥.

(٢) "وكان الكتاب فى طبيعته السابقتين عبارة عن ملخص للمحاضرات التى ألقيتها على طالبات كلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر فى العام الجامعى ١٩٧١-١٩٧٢ فى مادة علم الأخلاق"، مقدمة فى علم الأخلاق ص٧. "ونأمل أن تسهم هذه الطبعة الجديدة فى إثارة اهتمام طلابنا بالدراسات الفلسفية بوجه عام وحفزهم على المزيد من الاطلاع الجاد والدراسة العميقة فى مجال الدراسات الأخلاقية بوجه خاص"، السابق ص٩.

فى علم الأخلاق" (١).

كان للأستاذ مشروع فلسفى فى بداية حياته الجامعية، التآريخ للفلسفة خاصة الغربية مما يستطيع أن يفيد به طلاب الأزهر الأكثر تعودا على الفلسفة الإسلامية. وهو ثلاثية تضم "مقدمة فى علم الأخلاق" و"تمهيد للفلسفة"، وترجمة "مدخل إلى الفكر الفلسفى" لبوخينسكى (٢).

كان للمشروع غاية عملية وليست غاية نظرية، الفلسفة العملية، الأخلاق والسياسة والاقتصاد، كما يقول القدماء وليس الفلسفة النظرية، المنطق والطبيعات والإلهيات (٣). وأحيانا تظل الفلسفة نظرية خالصة كما هو الحال فى "تمهيد للفلسفة" فهو قسمان: مقدمات ومباحث (٤). المقدمات أربعة فصول. الأول "بين يدي الفلسفة" عن صلة الفلسفة بالفيلسوف ودوافع التفلسف ورسالة الفلسفة. والثانى مفهوم الفلسفة ومجالاتها. والثالث علاقتها بغيرها من المجالات، العلم

(١) تشمل هذه المرحلة الكتب الآتية: ١- مقدمة فى علم الأخلاق ١٩٧٢. ٢- تمهيد للفلسفة ١٩٧٦. ٣- مدخل إلى الفلسفة لبوخينسكى ١٩٧٣. ٤- المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ١٩٧٩. ٤- مقدمة فى علم الفلسفة الإسلامية ١٩٧٧. ٥- ثلاث رسائل فى المعرفة للغزالى لم تنشر من قبل ١٩٧٢-١٩٧٩. ٦- دراسات فى الفلسفة الحديثة ١٩٨٤. ٧- محاضرات فى فلسفة التاريخ لهيجل، الجزء الثانى العالم الشرقى (مراجعة) ١٩٨٦.

(٢) ويشكل هذا الكتاب، فى صورته الحالية مع كتابنا "تمهيد للفلسفة" وكتاب "مدخل إلى الفكر الفلسفى" لبوخينسكى الذى قمنا بترجمته من اللغة الألمانية وحدة واحدة. فهذه الكتب الثلاثة يكمل بعضها بعضا من حيث أنها تشكل سلسلة متشابكة الحلقات، تخدم هدفا واحدا وهو تمهيد السبيل أمام القارئ لدراسة الفلسفة بفروعها المختلفة ومنها الأخلاق، مقدمة فى علم الأخلاق ص ٨، تمهيد للفلسفة ص ٤.

(٣) مقدمة فى علم الأخلاق ص ٨.

(٤) تمهيد للفلسفة، مقدمات ص ١١-١٥، مباحث ص ١١-٢٦٩.

وتاريخ الفلسفة والدين. وقد يكون تاريخ الفلسفة أقرب إلى المنهج منه إلى المجال^(١). والمباحث تشمل مبحثين، المعرفة والوجود. وهما مبحثان نظريان في المذاهب الفلسفية في المعرفة مثل الشك واليقين أو في الوجود، المادية قديما وحديثا بما في ذلك المادية الجدلية والتفصيل في المذهب الروحي والمذهب الثنائي. ولا يوجد مبحث للقيم وهو ما يمثل الفلسفة العملية. وهو كتاب جامعي أشبه بمقرر "المدخل إلى الفلسفة"، المساق العام للطلاب في السنة الأولى. يدل على موضوعية وعلم وحياد، خال من المواقف الحادة والأحكام المسبقة.

والأستاذ مؤرخ للفلسفة، الإسلامية والغربية. فكتب "مقدمة في الفلسفة الإسلامية" كتابا جامعا يتضمن ثمانية فصول. مفهوم الفلسفة، دور الإسلام في تطوير الفكر الفلسفي الإسلامي، العقل ومجالاته في فكر الغزالي، ابن رشد وآراؤه في الصلة بين الدين والفلسفة، مكانة العقل في فكر الشيخ محمد عبده، حول مفهوم التصوف الإسلامي، القيم الخلقية في الفكر الإسلامي، هوامش على صلة الفلسفة الإسلامية بالفلسفة الأوروبية^(٢). وهو مقدمة فريدة في الفكر الإسلامي لا تتبع لا المنهج التاريخي ولا المنهج الموضوعي نظرا لأنها عدة مقالات متفرقة مجمعة في ثمان فصول من وحى المناسبات يجمع بين ثلاث شخصيات، الغزالي وابن رشد ومحمد عبده^(٣). ويعود الغزالي في الأخلاق مع مسكويه وعلمين، التصوف والأخلاق. والأخلاق ليست علما مستقلا في الفكر الإسلامي عن أصول الدين وأصول الفقه وعلوم الحكمة والتصوف بل والعلوم النقلية الخمسة، القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه، بل والعلوم الرياضية، الحساب والجبر والهندسة والفلك والموسيقى كما هو الحال عند إخوان الصفا،

(١) السابق ص ٧١-٧٧.

(٢) مقدمة في الفلسفة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٧.

(٣) السابق ص ٥١-١٥٧/١٨٩-١٩٠.

والطبيعية، النبات والحيوان والصيدلة والطب. الأخلاق رؤية للعالم فى جميع العلوم الإسلامية القديمة^(١). وليس تصنيف العلوم هو ما أعطته علوم الحكمة فقط، نظرية وعملية. النظرية، المنطق والطبيعات والإلهيات، والعملية، الأخلاق والسياسة والاقتصاد (تدبير المنزل)^(٢). فكل علم له تصنيفه للعلوم. فى علم الكلام علوم نقلية وعلوم عقلية. وفى التصوف علوم النظر وعلوم الذوق. وفى الفقه علوم الأصول وعلوم الفروع. وعند المؤرخين علوم العرب وعلوم العجم، علوم الأواخر وعلوم الأوائل. كما يتضمن تقريرين تاريخيين. الأول دور الإسلام فى تطوير الفكر الفلسفى الإسلامى، والثانى صلة الفلسفة الإسلامية بالفلسفة الأوروبية^(٣).

وكما كتب الأستاذ "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية" الجبهة الأولى فى موقفنا الحضارى فى مشروع "التراث والتجديد" كتب أيضا "تراسات فى الفلسفة الحديثة" الجبة الثانية. وهو كتاب جامعى للطلاب يعتمد على المراجع أكثر مما يعتمد على المصادر. عرض محايد لأهم أعلام الفلسفة الحديثة اعتمادا على تصنيف رسل. بدأت بالمنهج عند بيكون وديكارت. وحاولت أن تضع أسس المعرفة. يتسم بالعرض المدرسى المرتب الواضح. تعطى أقل مما كان معروفا فى هذه الفترة ١٩٨٤ بعد جهود عثمان أمين وزكريا إبراهيم ويوسف كرم وعبد الرحمن بدوى ونجيب بلدى. تجمعهم رابطة واحدة، العقل. يضم سبعة فصول. الأول مقدمات عامة عن خصائص الفكر الفلسفى الحديث. والثانى بيكون ومشكلة المنهج بداية بحياته وأعماله. والثالث ديكارت ومشكلة الشك مع حياته ومؤلفاته. والرابع المدرسة الديكارتية، اسبينوزا وليبنتز دون مالبرانش. والخامس جون لوك

(١) السابق ص ١٦١-١٩٠.

(٢) السابق ص ٢٢-٢٦.

(٣) السابق ص ٢٩-٤٧/١٩٣-٢٠٦.

ومشكلة المعرفة مع حياته. والسادس كانط والمشكلة النقدية مع حياته. والسابع في الفلسفة المعاصرة، مفهوم المسؤولية في الحضارة الحديثة وهو إشكال عام، والخصائص العامة للوجودية بتصنيفها الشائع إلى مؤمنة وملحدة، ونقدها باعتبارها سرايا^(١). وهو الوحيد خارج النسق، المشكلة بدلا من العلم. وكانا في الأصل مقالين^(٢). وتخلو من مقارنة بين ليبنتز والمعتزلة^(٣). ولا يوجد ربط بين نظرية المعرفة والنظرية السياسية في الفلسفة الحديثة كما هو الحال في الأخلاق المؤقتة عند ديكرات، و"رسالة في اللاهوت والسياسة" عند اسبينوزا، و"مشروع غزو مصر عند ليبنتز"، و"مملكة بريطانيا" عند بيكون. أما هيجل الذي تضح فيه هذه الرابطة فقد أجل فيما بعد مع وعد بتناوله لاحقا. ويُقد لوك وحده دون الآخرين^(٤). ولم تستثمر أهمية كلمة "تقد" في المذهب النقدي.

وقد جرت العادة في كتب تاريخ الفلسفة تخصيص ديكرات بحياة الفيلسوف للتعريف به قبل أفكاره وكلاهما منفصلان عند بعض الفلاسفة العقليين، ومتصلان عند بعض الفلاسفة الوجوديين. ففكر الفيلسوف صدى لحياته وبيئته وعصره^(٥). ونحن عادة نرصد الاثنين، الحياة والأعمال منفصلين كمعلومات وأخبار.

وقبل الحوار مع الغرب، يُعرض الغرب في ترجمة "مدخل إلى الفكر الفلسفي" لبوخينسكي ١٩٧٣. وهو الغرب الفلسفي وليس الغرب الاستشراقي في مرحلة الأستاذ. وهو بداية التعامل مع الغرب قبل الحوار معه في الاستشراق. وهو ما يعادل في مشروع "التراث والتجديد" الجبهة الثانية، الموقف من التراث

(١) دراسات في الفلسفة الحديثة، دار الفكر العربي، ط ١ / القاهرة ١٩٨٤.

(٢) السابق ص ٢١٥.

(٣) السابق ص ٢٢٩.

(٤) السابق ص ١٧٩-١٨٠/٢١٥.

(٥) مقدمة في الفلسفة الإسلامية، حياة الغزالي وآثاره العلمية ومكانته ص ٥١-٧٣، نبذة عن

حياة ابن رشد، السابق ص ١١٢-١١٤.

الغربي أو "علم الاستغراب". والبداية بالترجمة كما بدأ القدماء بالترجمة قبل التعليق والشرح والتلخيص والعرض والتأليف^(١). تعرض الفلسفة كمفاهيم، كل مفهوم لفظ واحد، عشرة مفاهيم بعشرة فصول دون ربط بينها. بعضها يتعلق بالفلسفة النظرية والبعض الآخر بالفلسفة العملية. الفلسفة، والمعرفة، والحقيقة، والفكر والمطلق فلسفة نظرية، والقانون، والقيم، والإنسان، والوجود، والمجتمع أقرب إلى الفلسفة العملية. فالإنسان في العالم وبين الناس. والفلسفة النظرية على هذا النحو حتى في المفاهيم العملية فلسفة آمنة، ميتافيزيقية وليست سياسية، تقليدية وليست خارجة على التقاليد، أقرب إلى المثالية منها إلى الواقعية مع أن المثالية عند ماركوز ممثلة في العقل ثورة. هدفها السماء وليس الأرض^(٢). الهدف التفلسف الخالص^(٣). ويدافع عن المثالية ضد المادية والماركسية.

ومع "دراسات في الفلسفة الحديثة" راجع الأستاذ على الألمانية ترجمة الجزء الثاني "العالم الشرقي" من كتاب هيجل "محاضرات في فلسفة التاريخ".

(١) وقد بدأنا أيضا بالترجمة: "تماذج من الفلسفة المسيحية لأوغسطين وأنسيلم وتوما الاكويني" ١٩٦٨، "رسالة في اللاهوت والسياسة لاسبينوزا" ١٩٧١، "تربية الجنس البشري للسنج" ١٩٧٧، "تعالى الأنا موجود لجان بول سارتر".

(٢) "والأمل معقود في تضافر جهود المفكرين والمشتغلين بالفلسفة في عالمنا العربى نحو إقامة صرح فلسفى جديد، وترسيخ بنیان فكرى أصيل وبلورة سمات فلسفية عربية إسلامية حديثة، تعمق بنیان شخصية الإنسان العربى المعاصر، وتوائم بين ارتباطه بالأرض التى يعيش فوقها والارتفاع به فى الوقت نفسه نحو السماء حتى تتحقق خلافته الله فى هذه الحياة"، مدخل إلى الفكر الفلسفى ص ٤.

(٣) "قدمت لطلاب الفلسفة وطلاب الثقافة العامة ما يعينهم على تفهم الفلسفة ومشكلاتها. وكلنا أمل فى قيام نهضة حقيقية فى عالمنا العربى لا تقتصر على دراسة فلسفات ومذاهب الآخرين، وإنما تضيف إلى الفكر الإنسانى ما يعمل على إثرائه"، السابق ص ١٢.

فالأستاذ يضم التأليف والترجمة والنشر كما فعلت "اللجنة المصرية"^(١). وقد سقط اسم المراجع من الطبعة البيروتية^(٢). وكان النص في حاجة إلى "تعريب" أو "أسلمة" أكثر من المترجم أو المراجع حتى يؤثر أكثر في الثقافة العربية في غرز مفهوم التاريخ أو في معرفة صورة الشرق في ذهن الغرب وهو اهتمام المراجع الثانى باعتباره محاورا.

ومن مهام الأستاذ النشر. فقد نشر "ثلاث رسائل في المعرفة" لم تنشر من قبل من التراث المخطوط للإمام الغزالي، معرفة النفس رسالة، ومعرفة الله رسالة، والمعرفة رسالة بعد التحقق من صحة نسبتها له. وليس بها جديد بالنسبة لآراء الغزالي في المعرفة أو في معرفة النفس أو في معرفة الله. ومع ذلك تدل على حب الغزالي وعشقه من البداية إلى النهاية من رسالة الدكتوراه حتى الخطاب العام للناس في "الدين والحياة"^(٣).

واستعمل الأستاذ والمحاور والمصلح الشعر العربى القديم والحديث كوسيلة للتعبير عن الأفكار الفلسفية كما فعل القدماء والتأثير في الجمهور الذى مازال في روجه شاعرا. فالقرآن والشعر كلاهما دوائر خطاب بين المؤلف والقارئ، كما قال عمر من قبل "عليكم بديوان جاهليتكم فيه تفسير كتابكم"^(٤). ومنه ما هو

(١) هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ، الجزء الثانى، العالم الشرقى، ترجمة وتقديم وتعليق د. إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل الألماني د. محمود حمدى زقزوق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦.

(٢) السابق ص ٣.

(٣) من التراث المخطوط للإمام الغزالي: ثلاث رسائل في المعرفة لم تنشر من قبل تحقيق وتقديم وتعليق ط ٢/ وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٩.

(٤) فى الحديث "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". وفى الشعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت .: فإن هموا ذهب أخلاقهم ذهبوا

مقدمة فى علم الأخلاق ص ٥٢.

مستمد من الرسول أو من الغزالي أو من أحمد شوقي^(١). وكلما كان الموضوع مرتبطا بالحياة زاد الشعر. فالشعر نص يشعر به القارئ دون ما تفسير أو تأويل كما هو الحال في النص الديني. الشعر تجربة مباشرة بين الشاعر ومستمعه مثل المغنى، من القلب إلى القلب، دون رهبة النص أو سوء التأويل.

٣- المحاور.

المحاور هو المفكر عندما يتعامل مع حضارة أخرى مثل الغرب حوارا ونقدا. وهو ما يعادل الجبهة الثانية في مشروع "التراث والتجديد" وتأسيس "علم الاستغراب"، وتحويل الغرب من كونه مصدرا للعلم ليصبح موضوعا للعلم. فالمتقف اليوم "عربي بين ثقافتين". وقد بدأت هذه المرحلة من قبل في المرحلة الأولى، الأستاذ بثلاثة مؤلفات: "الإسلام في مرآة الفكر الغربي" ١٩٧٩، "الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري" ١٩٨٢، "الإسلام في تصورات الغرب" ١٩٨٧. ثم تأتي مرحلة المحاور بمؤلفين: "الإسلام وقضايا الحوار" ٢٠٠٢، "الإسلام والغرب" ٢٠٠٥.

ولا يغيب الحوار مع الغرب حتى في مرحلة الأستاذ. فالفصل الثامن في "مقدمة في الفلسفة الإسلامية" هو "هوامش على صلة الفلسفة الإسلامية بالفلسفة

(١) وكان ما كان مما لست أذكره .: فظن خيرا ولا تسأل عن الخير

مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص١٦٥/٩٦، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص٩٢، دراسات في الفلسفة الحديثة ص١٨٩، هموم الأمة الإسلامية ص١٨٣/٧٦، الحضارة فريضة إسلامية ص٥٣-٥٤/٦٠/٦٦، الإسلام في عصر العولمة ص١٠٣/٢٤، الإنسسان والققيم في التصور الإسلامي ص١٤٩/٥٦/٢١٠/٢٢٦/٢٣٠/٢٣٣/٢٥٢، المسلمون في مفترق الطرق ص٩٠، الفكر الديني وقضايا العصر ص٢٣١/٢٣٠/١١٣/١٠٣/٩٥/٦٣/٣٦، الدين للحياة ص٢٥، مقاصد الشرعية الإسلامية وضرورات التجديد ص١٠٠.

الأوروبية^(١). فهناك عدة مقارنات بين الغزالي وديكارت، ابن سينا وديكارت، الغزالي وهيوم، اسبينوزا والفلسفة الإسلامية، الغزالي والفلسفة النقدية، ليبنتز والفلسفة الإسلامية، إخوان الصفا وابن خلدون وأثرهما على الفلسفة الأوروبية.

ويبدأ الحوار بين التراثين الإسلامي والغربي بدراسة تاريخية مقارنة بين "المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت". وهي رسالة المحاور للدكتوراه بالألمانية التي حصل عليها من جامعة ميونيخ بألمانيا^(٢). ليس الغرض هو إثبات الأثر والتأثير بل رصد مجرد التشابه بين الفيلسوفين كنوع من الدراسات المقارنة. وهي أول دراسة للأستاذ وبداية لمشروع الحوار بين الإسلام والغرب على نحو تاريخي لبيان مدى الاتصال بين التراثين في أحد المراحل. الفكرة شائعة، يتناقلها أهل الاختصاص نظرا لمدى التشابه بين المنهجين، والانتقال من الشك إلى اليقين بصرف النظر عن أسس اليقين، الصوفي عند الغزالي والعقلي عند ديكارت. ونظرا لغياب منهج دقيق للمقارنة مع عرض متساو للطرفين أو قراءة طرف من وجهة نظر الآخر أو وضع كليهما في نسق أعلى بحيث يظهران وكأنهما جانبان لحقيقة واحدة، ظهر الغزالي هو الأساس وديكارت هو الفرع. فالمدخل التاريخي عن الغزالي عصره وحياته ومؤلفاته، ولا يوجد مدخل مشابه لديكارت^(٣). وفي "المقارنة بين المبدأ الفلسفي التأسيسي عند الغزالي وديكارت" هناك عرض للغزالي وذكر له أكثر من ديكارت^(٤). وفي "العقل ومجاله" لا يوجد ذكر إلا للغزالي^(٥). فالرسالة في الغزالي أساسا وديكارت ما هو إلا الفرع.

(١) مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص ١٩٣-٢٠٦. وهي محاضرة أقيمت في الجمعية الفلسفية

المصرية، السابق ص ١٩١.

(٢) "المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت"، دار القلم، الكويت ١٩٧٣.

(٣) السابق ٦٣-٨٠.

(٤) السابق ص ٨٣-١٦٣.

(٥) السابق ص ١٦٧-٢٠٥.

وأول مؤلف صريح فى الحوار بين الإسلام والغرب هو "الإسلام فى مرآة الفكر الغربى"^(١). وهى دراسة وتحليل لبعض أعمال كبار المستشرقين. يتكون من بابين. الأول صورة الإسلام فى تصور المستشرقين ويضم ثلاثة فصول، عقائد الإسلام للمستشرق هرمان اشتيجلكر، محمد والقرآن للمستشرق روى بارت، الله مختلف تماما عما يصفون للمستشركة زيجريد هونكة. والثانى الإسلام والغرب ويضم أيضا ثلاثة فصول: الإسلام والغرب فى تصور الأدباء والفلاسفة، الصلات الثقافية بين الإسلام والغرب، وأخيرا عود إلى أسماء الأعلام، الإسلام فى تصور كاتب أوروبى مسلم هو جرهارد تشسنى فى كتابه "إجابة الأديان"^(٢). المحاور أزهرى ألمانى يجمع بين ثقافة الأنا وثقافة الآخر. موضوعات المستشرقين هى الموضوعات الكلامية التقليدية. وخطاب ولى العهد البريطانى عن الإسلام ليس حجة فى الاستشراق بل خطاب مجاملة ودبلوماسية.

وتكشف الأسئلة الواحد والثلاثون عن صورة الإسلام فى الفكر الغربى ودفاع المسلمين عن الإسلام فى تصوره التقليدى من محمد أسد (ليوبولد فايس)^(٣).

(١) الإسلام فى مرآة الفكر الغربى" دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧٩.

(٢) السابق ص ١٨٥-١٩٠.

(٣) وهى: ١- ما هو العالم الآخر وهل يمكن معرفته؟ ٢- ما هى الحقيقة الأخرى والوحي والكتب المقدسة والمعجزات؟ ٣- دور البحث العلمى فى معرفة الحقائق الأخرى. ٤- دور المعرفة الوجدانية. ٥- دور التجربة الصوفية. ٦- هل يمكن التعبير عنها بالمفاهيم الإنسانية؟ ٧- هل الإنسان تطور طبيعى؟ ٨- هل النفس مستقلة عن البدن؟ ٩- ما معنى خلود الشخص الإنسانى؟ ١٠- كيف يتم خلاص الإنسان؟ ١١- ما دور السعادة والألم فى كمال الإنسان؟ ١٢- هل يدل تاريخ الإنسانى على تقدم؟ ١٣- هل تشمل الأديان على حقائق؟ ١٤- هل تتوقف معرفة العقائد على النضج العقلى؟ ١٥- هل هناك دين واحد صحيح؟ ١٦- لماذا توجد مدارس مختلفة فى فهمه؟ ١٧- هل تستقل النظرة الإنسانى عن

وتبدو دراسة الاستشراق في حد ذاته في "الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى"^(١). وهو كتاب وليس مجموعة أوراق. يتكون من ثلاثة فصول: مدخل تاريخي حول نشأة الاستشراق وتطوره، المستشرقون وموقفهم من الإسلام، موقفنا من الاستشراق. الأول في الاستشراق كموضوع، والثاني في موقف الاستشراق منا، والثالث في موقفنا من الاستشراق في إحالة متبادلة بين الذات والموضوع. وهى أحكام عامة كثر ترددها منذ قرنين من الزمان. ولم يعد أحد يرددها إلا فيما ندر مثل برنار لويس. ولا أحد يرد عليها لأنها ليست أحكاماً علمية بل صوراً قبلية القصد منها تشويه الإسلام. والآن الدراسات الاستشراقية دراسات جزئية وليست أحكاماً تعميمية. تجاوزتها الدراسات العربية بمراحل بعد أن ساهم العرب في دراسة تراثهم. وقد ارتبط الاستشراق بالتبشير والاستعمار. وساهم في ذلك اليهود بالرغم من أن الثقافة الإسلامية عاشت في قصر الإمبراطور فريديريك الثاني حتى القرن الثالث عشر. وتتركز أعمال المستشرقين في التدريس الجامعي وجمع المخطوطات العربية والتحقيق والنشر والترجمة والتأليف مثل تاريخ الآداب العربية ودائرة المعارف الإسلامية والمعاجم. غلب عليها المنهج التاريخي خاصة في دراسة مصادر القرآن وصحة النص القرآني

الدين؟ ١٨- هل يستطيع الإنسان الوصول إلى الحقيقة الصحيحة؟ ١٩- ما صلة الأديان بالامتيازات الاجتماعية والسياسية؟ ٢٠- هل ينجح الحوار بين الأديان؟ ٢١- ما الصلة بين الإيمان والأخلاق؟ ٢٢- هل يمكن مع تعدد العقائد الاتفاق على معايير الأخلاق؟ ٢٣- هل هناك قيم أخلاقية ملزمة لكل الشعوب؟ ٢٤- هل توحيد القيم يؤدي إلى توحيد الأديان؟ ٢٥- هل يستطيع الدين أو الدولة الدفاع عن حرية الضمير؟ ٢٦- هل العلمانية ضرورية؟ ٢٧- هل يمكن تدريس الأديان بالمدارس؟ ٢٨- هل تسمح الدولة العلمانية بالجماعات الدينية؟ ٢٩- هل يدرس اللاهوت والدين بالجامعة؟ ٣٠- هل تتدخل الدولة للحفاظ على الحريات؟ ٣١- هل هناك صلة بين المواقف الدينية والأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؟، الإسلام في مرآة الفكر الغربي ص ١٩٣-٢٤٢.

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، دار الشروق الدولية ١٩٨٢.

وتنبؤ القرآن بانتصار المسلمين وهزيمة غيرهم. هناك صراع فكري إذن بين الاستشراق والإسلام مما يتطلب موسوعة للرد على المستشرقين، ومؤسسة إسلامية علمية عالمية، ودائرة معارف إسلامية جديدة، وجهاز عالمي للدعوة الإسلامية، وترجمة إسلامية لمعاني القرآن، وتنقية التراث الإسلامي، والحضور الإسلامي في الغرب، وتأسيس دار نشر إسلامية عالمية.

و"الإسلام في تصورات الغرب" هو جزء من دراسة الاستشراق^(١). هو الكتاب الثالث من المشروع في مرحلة الأستاذ، ومراجعة لأدبيات المستشرقين. وهو مرتب طبقاً لأسماء أعلام المستشرقين، كل مجموعة منهم في موضوع^(٢): الإسلام وسيرة الرسول على فصلين مع مقدمة عامة عن الاستشراق من وجهة النظر الإسلامية، آثاره وردود الفعل عليه وتياراته النقدية والموضوعية والإيجابيات والسلبيات في الاستشراق، واستهدافه الإسلام، ومسئولية المسلمين تجاهه، والحوار مع المستشرقين المعتدلين^(٣). وقد تم عرض اتجاهات إسلامية هندية حديثة، دراسات تبشيرية عن الإسلام، والإسلام في كتب تاريخ الأديان ورصد لنصوص إسلامية ترجمها المستشرقون. ثم عرض الكتاب ثلاثين عملاً لمستشرقين عن سيرة الرسول^(٤). يضاف إليها تكوين أسطورة الرسول في العصر الوسيط. ويُعرض أخيراً أعمال اثنين وأربعين مستشرقاً عن سيرة الرسول سواء في عصر التنوير في القرن الثامن عشر أو في عصر الكتابات

(١) الإسلام في تصورات الغرب، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٧.

(٢) السابق ص ٣-٤.

(٣) السابق ص ٧-١٨.

(٤) هم: ريلاند، جورج سيل، مرادجيا دهبون، جارسين دي تاسي، راينهاردت دوزي، ألفريد فون كريم، سنوك هورجرونجيه، اجناس جولدتسيهر، ماككنونالد، مرجليوث، مارتين هارتمان، برونو فيوليت، شوبرت، زيتس، ليبيل، شبنجلر، فرانتس بول، أويستروب، كاشروب، كارادي فو، السابق ص ٧٦-١٩.

النقدية التاريخية في القرنين التاسع عشر والعشرين أو الكتابات الشعبية عن حياة محمد^(١). وتتكرر بعض الأعلام في أكثر من موضوع. وتبدو أهمية الرسول أكثر من الرسالة بناء على تشخيص الأديان في أنبيائها، المسيحية من المسيح، والموسوية من موسى، والمحمدية من محمد^(٢). وهو أقرب إلى فهرس مكتبة أو بيبليوجرافيا تفصيلية من بيانات ثقافية متعددة أكثرهم ألمان. والتصنيف طبقا للمناهج أو التصورات أفضل. ويدخل المحاور في جدل سريع مع بعض أحكام المستشرقين ونتائج دراساتهم.

والاستشراق ليس مجرد حوار مع الآخر، الغرب، بل هو أيضا حوار مع الذات. فالهدف منه توعية الذات^(٣). فالصورة السلبية للإسلام في الغرب نتيجة تراكمات طويلة عبر التاريخ^(٤). وبالتالي يكون الهدف هو توعية المسلم المعاصر

(١) هم: فكتور شوفان، ريلاند، بولانفلييه، جان جانييه، سيل، فولتير، جوستاف فيل، كوسان دي برسيفال، موير، اشبرنجر، نولدكه، بيير مارتينو، مينور، فولفل، هاز، تور اندريه، شغاللي، كواريسميوس، رينو، زيوليكي، أولستان دوميريل، دي لينس، جاس، بروتسي، دانكونا، كاستري، شرودر، دريسباخ، دوتيه، باسيه، السابق ص ٧٧-١٢٧.

(٢) وهم: بوديه، سيل، ادوار بوكك، هوتنجر، الكسندر روسي، مارلتشي، بريديو، بولانفلييه، جانييه، ايرهارت، فولتير، ليبنتز، ليسنج، جوته، جيبون، هرذر، أولزغر، رينو، هامر، برجشتال، كارلايل، ولیم موير، اشبرنجر، نولدكه، كريل، أوجست موللر، هوبرت جريمه، سنوك هورجرجيه، بل، مرجليوث، جولتسيهر، لامانس، ريكندروف، هيلكا بنعمابر، ريم، فورتس، ماير، السابق ص ١٢٨-١٩٦.

(٣) "وقد أردت بهذه السلسلة أن يطلع القارئ المسلم على أبعاد هذه القضية القديمة الجديدة، ومالها من تأثيرات إيجابية أو سلبية في صياغة الفكر الغربي فيما يتعلق بالإسلام، وما لها من ردود فعل في الفكر الإسلامي في العصر الحديث"، الإسلام في تصورات الغرب ص ٤.

(٤) "فالصورة السائدة عن الإسلام اليوم في الغرب ليست مجرد صورة وقتية عارضة، ولا هي بنت اليوم، وإنما هي صورة صاغتها قرون طويلة من الصراع للحضارى بين

بما يجرى حوله وما يكتب عنه ليعرف كيف يراه الآخرون. كما أنه قد يقدر على الاستعداد لمواجهة هذه الصور السلبية عن نفسه فيتخلص منها ولا يكون أسير عقدة التخلف. وقد يحفز ذلك المؤسسات الإسلامية العلمية للنهوض بواجبها فى دراسة الاستشراق والرد عليه. والأخطر هو انتشار هذه الصور السلبية عن الإسلام من دوائر التخصص والبحث العلمى إلى الثقافة الشعبية للأوروبيين من خلال أجهزة الإعلام والكتب المدرسية^(١).

"الإسلام وقضايا الحوار" يدخل فى لب موضوع الحوار مع محاولة تأصيل نظرى له^(٢). وهى ترجمة عن الأصل الألمانى^(٣)، مع زيادة أربعة

الإسلام والغرب. ومن الضروري أن يتعرف القارئ المسلم على جذور هذه الصورة فى الفكر الغربى وعلى تطور التصورات الغربية عن الإسلام على مدى قرون عديدة، السابق ص ٢.

(١) "ونأمل أن يتحقق بعملنا هذا... الوصول إلى الأهداف الآتية: أولاً أن يكون المسلم المعاصر على بينة بما يجرى حوله، وعلى وعى بما يكتب فى الغرب عن دينه وحضارته وتاريخه، وعلى إدراك الأسباب البعيدة للمواقف الغربية عن الإسلام حتى لا يقف طويلاً عند الظواهر السطحية العارضة التى لا تفصح عن الأسباب الحقيقية وراء ذلك. ثانياً أن يحفز ذلك المسلم المعاصر إلى العمل لإعداد نفسه على المستوى الفكرى إعداداً يستطيع به أن يكون قادراً على مواجهة كل التيارات الفكرية الآتية من الشرق أو الغرب حتى لا يتخلف عن الركب ويدع الفرصة للآخرين لاحتوائه فيظل أسيراً لعقدة التخلف ومركبات النقص التى يراد ترسيخها فى ذهنه. ثالثاً أن يدفع ذلك المؤسسات الإسلامية العلمية إلى نهوض بمسئولياتها تجاه الإسلام فى مواجهة الحركة الاستشراقية فى الغرب"، السابق ص ٤.

(٢) الإسلام وقضايا الحوار، ترجمة د. مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢.

(٣) Der Islam und die Fragen des Dialogs, Shorouk International Bookshop, Cairo 2004.

فصول^(١). وهو من أكبر الكتب حجما. لا تذكر أسماء عربية أو أجنبية كثيرة باستثناء الغزالي وابن رشد ومحمد عبده والأفغانى وتصدير الأصل الألمانى بنص من الغزالي. وتذكر تواريخ وفاة الأعلام بالميلادية وليس بالهجريّة لأن النص الأصلي موجه إلى جمهور أجنبى. ولم يراع المترجم العربى وضع التواريخ الهجرية بجوارها^(٢). والغريب أن الفصول الأربعة الزائدة فى الترجمة العربية عن الأصل الألمانى تهم القارئ الأوروبى أيضا مثل "الجانب الروحى فى الإسلام" وهو يتهم الإسلام بالمادية مقارنة بالمسيحية، و"عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم". وهو يتهم القرآن بعد الاعتراف به مع أنه كلمة الله وروح منه، و"الإسلام والأسس العامة للمجتمع" وهى المساواة والعدالة الاجتماعية ربما خشية من التقارب بين الإسلام والاشتراكية، وأخيرا "مشكلة الانحرافات الدينية فى التاريخ الإسلامى" مثل البدعة والزندقة والغلو والردة مع أنها موضوعات مثار إشكال وتساؤل لدى القارئ الأوروبى^(٣).

ويتجلى الحوار ودرء الشبهات عن الإسلام وتساؤلات الغرب فى مؤلف

-
- (١) يتضمن الأصل الألمانى ثلاثة عشر فصلا هى: ١- إسلام واحد وتفسيرات متعددة. ٢- الحوار والاحترام المتبادل بين الحضارات. ٣- الإسلام وأوروبا. ٤- العلاقات الثقافية بين العالم الإسلامى والغرب. ٥- الإسلام والحوار بين الأديان. ٦- الصراع والتعددية والتضامن فى التصور الإسلامى. ٧- الإسلام وحقوق الإنسان. ٨- حرية العقيدة وحقوق الإنسان فى الإسلام. ٩- مفهوم العدل فى التصور الإسلامى. ١٠- السلام فى التصور الإسلامى. ١١- التسامح فى الإسلام. ١٢- عالم واحد للجميع. ١٣- المسئولية العالمية المعاصرة فى التصور الإسلامى. وتزيد فى الترجمة العربية أربعة فصول هى: ١- الجانب الروحى فى الإسلام. ٢- عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم. ٣- الإسلام والأسس العامة للمجتمع. ٤- مشكلة الانحرافات الدينية فى التاريخ الإسلامى.

(٢) السابق ص ٣٣.

(٣) السابق ص ٨٩-١١٤/١٢٧-١٤٦/١٧٣-١٨٦/٢٠٩-٢٣٠.

بالإنجليزية بعنوان "حقائق حول الإسلام، أسئلة وردود" على نسق "إجابة الأديان" لجرهارد تشسنى^(١). وهى سبعة وثلاثون سؤالاً مقسمة حول سبعة موضوعات: القرآن الكريم، النبى محمد، الفتوحات الإسلامية والحقيقة حول حروب المسلمين (الجهاد) وموضوع العنف، الإسلام وموضوعات خاصة بالفرد، الإسلام وموضوعات المرأة المسلمة، وتخلف بعض الدول الإسلامية، أسئلة حول بعض أحكام الإسلام. وهى تساؤلات الغرب وشبهاته حول الإسلام^(٢). والإجابات كلها

(١) Facts about Islam, Questions and Answers, Shourouk International Book,

الإسلام فى مرآة الفكر الغربى، الإسلام فى تصور كاتب أوروبى مسلم 2004 Cairo .

ص ١٩٣-٢٤٢.

(٢) أولاً: القرآن الكريم: ١- هل القرآن وحى إلهى أم هو تأليف إنسانى؟ ٢- هل القرآن مؤلف من الكتب السابقة؟ ٣- هل صحيح أن القرآن لم يقدم أى أحكام وأوامر جديدة؟ ٤- هل جمع القرآن يلقى أى شك حول صحة النص؟ ثانياً: النبى محمد: ١- هل أرسل النبى محمد برسالة الإسلام إلى العرب أم إلى الناس كافة؟ ٢- ما هى أسباب زيجات الرسول؟ ٣- ما هو الدليل على صحة أحاديث الرسول؟ ٤- هل هناك أى تناقضات بين أحاديث الرسول؟ ثالثاً: الفتوحات الإسلامية، حقيقة الحروب الإسلامية (الجهاد) وموضوع العنف: ١- هل انتشر الإسلام بالسيف؟ ٢- هل كانت الفتوحات الإسلامية نوعاً من الغزو؟ ٣- ماذا كان موقف الإسلام تجاه الحضارات القديمة، وهل كان الإسلام مسئولاً عن حريق مكتبة الإسكندرية؟ ٤- ما هى حقيقة الحروب الإسلامية (الجهاد)؟ ٥- ما هى أحكام الإسلام الخاصة بالتعصب والإرهاب؟ ٦- هل يشجع الإسلام التطرف والعنف؟ رابعاً: الإسلام وموضوعات الفرد: ١- ما هى العلاقة بين الله والإنسان فى الإسلام؟ ٢- ما هى أحكام الإسلام بالنسبة للعقل والذهن الإنسانى؟ ٣- هل تتضمن عقيدة الإسلام الإيمان بالقدرية؟ ٤- ما هى أحكام الإسلام بالنسبة للديموقراطية وحقوق الإنسان؟ ٥- ما هى أحكام الإسلام بالنسبة للفن؟ خامساً: الإسلام وموضوعات المرأة المسلمة: ١- هل صحيح أن الإسلام يعامل المرأة المسلمة بظلم ويسلبها حقوقها؟ ٢- هل يسيطر الرجال دائماً على النساء المسلمات؟ هل ميراث المرأة المسلمة أقل من ميراث الرجل المسلم؟ ٤- هل النساء المسلمات أقل من الرجال فى الشهادة فى ساحة القضاء؟ ٥- هل يمنح الإسلام النساء

دفاعية بالنسبة لكل التساؤلات حول الموضوعات السبعة والسبعة وثلاثين سؤالاً. وجبات سريعة تثير الفكر ولا تحلل الموضوع تاريخياً ولا اجتماعياً.

أما كتاب "فى الفلسفة والثقافة والسلام فى الإسلام" فهى ترجمة إنجليزية لبعض الفصول العربية من كتب أخرى سابقة^(١). ويتضمن ثلاثة فصول. الأول دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى، ويشمل موضوعين: الأول موقف الإسلام من العقل الإنسانى، مفهوم الإنسان، والعقل الإنسانى ووظائفه، وتحرير العقل الإنسانى، والثانى دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى، النسق الكلى، مبدأ الاجتهاد، فكرة الوسطية، وجهة نظر الإسلام فى التاريخ، وأثر الإسلام فى الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط وفى العصر الحديث. والثانى العلاقات الثقافية بين الغرب والعالم الإسلامى فى مراحل ثلاث، العصر القديم والعصر

المسلمات من تقلد المناصب الرئيسية فى الدولة؟ ٦- هل يأمر الإسلام النساء المسلمات بارتداء الحجاب، وما هى أحكام الإسلام بالنسبة لحق المرأة فى التعليم وتقلد الوظائف؟ ٧- هل الإسلام يحدد وضعاً غير ملائم للنساء للحياة المدنية؟ ٨- لماذا يسمح الإسلام بتعدد الزوجات؟ ٩- هل تحريم المرأة المسلمة الزواج من غير المسلم علامة تميز بين المرأة والرجل؟ سادساً: موضوعات خاصة بحرية الاعتقاد، ووحدة الشعوب الإسلامية، وتخلف بعض الدول الإسلامية: ١- هل يعارض الإسلام حرية الاعتقاد؟ ٢- هل موقف المسلمين من سلمان رشدى دليل على معارضة الإسلام لحرية التفكير؟ ٣- هل الحدود فى الإسلام قاسية (وحشية)؟ ٤- لماذا المسلمون مجزؤون بالرغم من نداء الإسلام للوحدة؟ ٥- هل العقيدة الإسلامية مسئولة عن تخلف بعض الدول الإسلامية؟ سابعاً: تساؤلات حول بعض أحكام الإسلام: ١- هل يعوق الصيام الإنتاج؟ ٢- هل صحيح أن الزكاة تضمن الرحمة الإلهية للأغنياء أكثر من الفقراء؟ ٣- لماذا يحرم الإسلام تناول لحم الخنزير؟ ٤- لماذا يحرم الإسلام على الرجال لبس المشغولات الذهبية والملابس الحريرية؟

(١). On Philosophy, Culture and Peace in Islam, Shorouk International Bookshop, Cairo 2004.

الوسيط والعصر الحديث، والنقاط المشتركة واحتمال التعاون الأكاديمي. والثالث السلام من وجهة النظر الإسلامية، وهي موضوعات تهم القارئ الغربي. لذلك ترجمت من العربية إلى الإنجليزية. والسلام موضوع الدولة الذي بدأ المثقفون يبررونه ويدعون له بعد زيارة القدس، وكامب ديفيد، ومعاهدة السلام. وقد ثار جدل أخير في أجهزة الإعلام حول دعوة المحاور لزيارة القدس وهل هي تطبيع أم حفاظا على المسجد الأقصى.

و"الإسلام والغرب" أحد منابر الحوار مع الآخر الذي بدأ بكتاب "الإسلام في مرآة الفكر الغربي"^(١). يظهر أسلوب المفكر الداعية. والمؤلف أكثر من خاطب الغرب من خلال الاستشراق وكأن الغرب هو الاستشراق وليس الاستشراق جزءاً من الغرب. وفرق بين الجدل مع الغرب وفهم الغرب وتحويله إلى موضوع للدراسة كما هو الحال في "علم الاستغراب". ويضم تسعة فصول متشابهة في عناوينها^(٢). ويتداخل الاستشراق مع الإسلام والمسيحية والإسلام وأوروبا، والحوار الحضاري. ويلحق به نصان، الأول "الغرب والإسلام" للأمير تشارلز، ولى عهد بريطانيا، خطابا دبلوماسيا ورسالة مجاملات. والثاني "حوار جديد مع الإسلام" لروبين كوك، وزير خارجية بريطانيا. وهو أيضا لا يختلف عن الأول إلا أنه يجعل الإسماعيلية الجسر بين الغرب والإسلام^(٣). ومن المهم في الكتاب التركيز على العامل السياسي في ضياع الثقة بين الجانبين مثل الفتح

(١) الإسلام والغرب، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٥.

(٢) هي: ١- الإسلام والاستشراق. ٢- اتجاهات غربية جادة لفهم الإسلام. ٣- الحوار الحضاري بين العالم الإسلامي والغرب. ٤- الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية. ٥- الإسلام وأوروبا، ضرورة الحوار وأفاق المستقبل. ٦- الإسلام والمسيحية، إمكانات التفاهم والتعاون بين الجانبين. ٧- إعادة بناء الثقة بين العالم الإسلامي والغرب. ٨- مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب. ٩- مستقبل الإسلام في الغرب.

(٣) الإسلام والغرب ص ١٧٧-١٩٨.

العربي للأندلس، الحروب الصليبية، الغزو العثماني للبلقان، الغزو الاستعماري لبلاد العالم الإسلامي في العصر الحديث، الوعد الإنجليزي لليهود عام ١٩١٧، التحيز التام لإسرائيل، الحرب على العراق، الترويج في الإعلام الغربي للربط بين الإسلام والإرهاب^(١). وبه قرآن أقل لأنه يخاطب الغرب. ومن الطبيعي أن يكشف الاستشراق عن صورة الإسلام في مرآة الغرب ومقارنته بالمسيحية وتطبيق المناهج التاريخية عليه طبقا لما تعود عليه المستشرق من مناهج تاريخية وأثر وتأثر وتحليلية وإسقاطية^(٢).

وفي الاستشراق هناك جوانب إيجابية وأخرى سلبية مثل طبيعة كل عمل بشري^(٣). ميزة الاستشراق أنه يعمل ونحن لا نعمل^(٤).

ويصعب الرد على المستشرقين بالكتاب والسنة لأنهما ليسا حجة لديهم بل بالعلم والنقد والتاريخ^(٥). والخطورة في الحوار أنه يتحول إلى دفاع^(٦). إذ تقتضى أدبيات الحوار عدم الهجوم على الآخرين. إنما يسمح بالدفاع عن الذات بطريقة صريحة أو مبطننة، مباشرة أو غير مباشرة. ومن الطبيعي أن يتحول الهجوم إلى دفاع، والسلب إلى إيجاب في تساؤلات المستشرقين عن موضوعات النساء

(١) السابق ص ١٣٣.

(٢) حسن حنفي: التراث والتجديد ص ٦٧-١٠٨، المؤلفات الإسلامية والعقائد المسيحية، الإسلام في مرآة الفكر الغربي ص ٢٩-٣٠/٧٢-٧٨.

(٣) الإسلام في مرآة الفكر الغربي ص ٧٢-٩٦.

(٤) "ويؤسفني أن أقول: إن المستشرقين يعملون ونحن لا نعمل، وهذا هو الفارق بيننا وبينهم بصرف النظر عن طبيعة العمل الذي يقومون به. وقد آن الأوان لنعمل نحن أيضا، وبروح الفريق كما يصفون. فليس أمامنا من سبيل إلا المواجهة العلمية وقبول التحدي وإثبات الذات وإلا فلنسا جديرين بالحياة"، السابق ص ٢٠.

(٥) الإسلام في تصورات الغرب ص ١٣/١٥.

(٦) دفاع Apologetism.

والشيطان والآيات^(١)، والقوة الجنسية للرسول وقسوته^(٢).

والسؤال هو: هل الغرب هو أساس الاستشراق، أم أن الاستشراق رؤية بعض الدارسين الغربيين للحضارة الإسلامية عبر التاريخ؟ قد يكون الاستشراق داخل الغرب هامشيا ليس في مرتبة ديكرت وكانط وهيكل. وقد يجمع بعض ممثلي الحضارة الغربية بين رؤية الشرق وتمثيل الغرب مثل جوته وهيكل واشبنجلر في رؤيتهم للإسلام وحضارته.

وهناك فرق بين دراسة المحاور للاستشراق ودراسة إدوار سعيد للاستشراق. المحاور للدفاع واستشراق الثاني للكشف عن خطاب ما بعد الاستعمار وكيف أنه يعكس عقلية الدارس وهو الغرب أكثر مما يكشف الموضوع المدروس، الشرق. ليس بهدف الدفاع ولكن بهدف تصحيح الأحكام والمواقف والرؤى، وتحويل الدارس إلى مدروس، والذات إلى موضوع كما هو الحال في علم "الاستغراب".

٤- المصلح.

وتدخل مرحلة الإصلاح مع مرحلة الحوار، فالحوار مع الذات يسبق الحوار مع الآخر. وقد ظهر ذلك في ثمانية مؤلفات: هموم الأمة الإسلامية (١٩٩١-٢٠٠١)، الحضارة فريضة إسلامية (٢٠٠١)، الإسلام في عصر العولمة (٢٠٠١)، الإنسان والقيم في التصور الإسلامي (٢٠٠٤)، المسلمون في مفترق الطرق (٢٠٠٧)، الفكر الديني وقضايا العصر (٢٠٠٦-٢٠٠٨)، الدين للحياة (٢٠٠٩)، مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد (٢٠٠٩) وهي أغزر المراحل تأليفا.

(١) الإسلام في مرآة الفكر الغربي ص ٣٠-٤٨/٣٢.

(٢) السابق ص ٢٩-٤٧/٤٧-١٩٣-٢٠٦.

وقصد الإصلاح موجود أيضا في مرحلة الأستاذ. يخاطب مرحلة تاريخية معينة، العصر الحاضر^(١).

وينتسب المصلح إلى مدرسة الأفغانى ومحمد عبده اللذين يكثر الإحالة إليهما. وقد استمرت لدى عديد من مشايخ الأزهر المراغى وشلتوت والبهى. والمحاور تلميذا مباشرا للبهى. هو الذى أرسله فى بعثة إلى ألمانيا للحصول على الدكتوراه. محمد عبده يوحد بين الدين والعقل. ويحال منذ الرسالة الأولى "المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت" إلى مدرسة محمد عبده فى علاقة الإسلام بالعقل^(٢). وقدم محمد البهى الكتاب ومؤلفه^(٣). وفى "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية" يخصص الفصل الخامس لموضوع "مكانة العقل فى فكر الشيخ محمد عبده"^(٤). ويحال إلى دفاع محمد عبده عن الوحى ونقده لرواية الآيات الشيطانية^(٥). ويحال إلى الأفغانى ومحمد عبده فى "الإسلام وقضايا الحوار"^(٦). ويحال إلى الأفغانى

(١) "من الملائم فى الظروف الفكرية التى تخيم على حياتنا الثقافية أن أجمع هذه الفصول..."، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص ٣. "إن قضية الصلة بين العقل والدين فى الإسلام لا تزال قضية مطروحة على الساحة الفكرية، وفهمها على وجهها الصحيح يشكل عاملا فعلا فى انطلاقة حضارية جديدة تعيد إلى الأذهان تلك الانطلاقة الحضارية التى شهدنا تاريخ المسلمين فى القرنين الثالث والرابع الهجريين وفى الوقت نفسه تسرع بنا إلى اللحاق بركب التطور الحضارى المعاصر"، السابق ص ٤.

(٢) تمهيد للفلسفة ص ١٠٢-١٠٤.

(٣) المؤلف "من شباب الأزهر المستنير الذى ضم إلى ثقافته الإسلامية والعربية ثقافة غربية"، المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت، ص ١٣.

(٤) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص ٤٤-٤٤١/١٤٥-١٥٧.

(٥) الإسلام فى مواجهة الفكر الغربى ص ٤٧.

(٦) الإسلام وقضايا الحوار ص ٣٠/٢٢٦.

فى "الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى فى قيمة العلم"^(١). كما يحال إلى الشىخ حسن العطار الذى وجه تلمیذه الطهطاوى إلى الانفتاح على الحضارة الغربية^(٢). ويظل محمد عبده رائد الإصلاح فىما يتعلق بالعقل والعقلانية بالرغم من أن على العقل وصى وهو النبى. وهو ماتورىدى النزعة أى نصف معتزلى^(٣). وتأصيل حركات الإصلاح فى محمد عبده صحیح دون إطرانه واعتباره نموذج العقلانى لأن العقل لديه فى حاجة إلى وصى وهو النبى كما يقول فى "رسالة التوحید". أهمیته أنه خرج على الأشعرية منتسبا إلى الماتورىدية بین الأشعرية والاعتزال. وربما كان یحتاج المصلح إلى مزيد من التأمل فى تصور الإسلام إلى التاريخ ووضع الأمة فى مساره وليس الاكتفاء بتحلیل نظرى لنظرة الإسلام إلى التاريخ سواء فى وضع قواعد النقد التاريخى للروایات أو وحدة الأصل الإنسانى^(٤).

ويبدأ دور المصلح فى "الدين والفلسفة والتتوير" بعد أن أصبح الأستاذ العمید وزيرا للأوقاف والشئون الدينية أو قبل ذلك بعام. ويشعر أنه من واجبه مخاطبة الناس والجمهور العريض بدلا من النخبة وطلبة الجامعات. فنشر الكتاب فى سلسلة "اقرأ" وهى سلسلة ثقافية شهرية^(٥). ويتكون من ثلاثة فصول: الدين والفلسفة، الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية لدى ابن رشد، مفهوم التتوير فى فكر ابن رشد. ولما كانت الحركة الإصلاحية حركة عقلانية فإنها توصل نفسها فى ابن رشد قديما ومحمد عبده حديثا. فالدفاع عن الدين هو دفاع عن الفلسفة ودفاع

(١) الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى ص ١٧٧.

(٢) المسلمون فى مفترق الطرق ص ٤٦.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد ص ١١٤/٨٠-١١٥.

(٤) تمهيد للفلسفة ص ١٠٤-١٠٦.

(٥) الدين والفلسفة والتتوير، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٦.

عن العقل ضد التعصب والتطرف وموجات التكفير مما قد يُفسر على أنه هجوم غير مباشر على الجماعات الإسلامية، خصوم النظام. ولا يختلف مصير ابن رشد عند العرب والمسلمين عن مصير الرشدية اللاتينية في الاتهام بالتكفير وحرق المؤلفات والمؤلفين في عصر محاكم التفتيش^(١). ومن المقولات الشائعة أن الفلسفة سفه وأن من تمنطق تزنّدق في حين أنها بنت الدين وأم العلم. إن الانشغال بما لا ينفع الناس مثل إطالة اللحى وتقصير الثياب والإلزام بالنقاب والسواك وتعدد الزوجات كل ذلك من مظاهر التخلف والانشغال بأمر هامشية دون مصالح الأمة^(٢). ويستشهد ببعض المستشرقين المعتدلين مثل هنرى كوربان^(٣).

وقد انتسب العديد من مشايخ الأزهر ومفكرى مصر الليبراليين إلى التيار

(١) كما لا يخفى على أحد أيضا ما للفهم الخاطئ للدين من آثار خطيرة تتمثل في الانحرافات الفكرية وموجات التطرف والتعصب والإرهاب... وهنا أيضا تنشأ موجات التطرف والتعصب فيغيب الوعى ويتسلط الجهل. وهذا كله يدعونا إلى أن نبحث عن الطريق السوى للخروج من متاهات الفهم الخاطئ للدين من ناحية ومن متاهات الضلال العقلى من ناحية أخرى...، السابق ص ٥-٦.

(٢) "ولكن الأمر الذى يؤسف له أنه كلما سار بنا ركب النهوض خطوة إلى الأمام أطلقت برأسها من هنا وهناك عناصر التخلف التى تتمسح بالدين وتتاجر بالسياسة لتجذبنا إلى الوراء خطوات... إن القضية المصيرية اليوم أمام الأمة الإسلامية هى قضية التخلف فى شتى المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والمادية وفى مجالات التفكير الدينى. والعقل ينبغى أن يأخذ دوره كاملا لإنقاذ الأمة من وهدة هذا التخلف. أما شغل الأمة بقضايا إطالة اللحى وتقصير الثياب والدفاع عن النقاب والسواك وتعدد الزوجات وما شاكل ذلك من أمور هامشية فإنه يعد جنابة فى حق الأمة وتعويقا لها عن مسيرتها نحو التقدم وللحاق بركب العصر"، السابق ص ١١٦.

(٣) السابق ص ٧١-٧٢/٩٣.

الإصلاحى. وهذا هو الدافع على كتابة "من أعلام الفكر الإسلامى الحديث"^(١). وهم عشرون علما محبوبون قدر الإمكان زمانيا منذ التهانوى فى القرن الثامن عشر والشيخ حسن العطار (ت ١٨٣٤) فى القرن التاسع عشر حتى مشايخ الأزهر من مدرسة محمد عبده فى القرن العشرين^(٢). وهو كتيب صغير لكنه مركز يبين أهمية التيار الإصلاحى للجمهور ويعيد إليه ذاكرته^(٣). وجبات سريعة ولكنها مؤثرة ومفيدة خاصة فى حادثة صنمود المراغى أمام الملك فاروق ورفضه إصدار فتوى بتحريم زواج الملكة فريدة ثانية بعد طلاق الملك^(٤).

ونموذج المؤلفات الإصلاحية هو "هموم الأمة الإسلامية"^(٥). وكان فى الأصل "قضايا فكرية واجتماعية فى ضوء الإسلام" الذى كتب قبل ذلك بعشر

(١) من أعلام الفكر الإسلامى الحديث، دراسات إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٩٧.

(٢) حسونة النواوى (١٩٢٤)، محمد مصطفى المراغى (١٩٤٥)، مصطفى عبد النرازق (١٩٤٧)، محمد الخضر حسين (١٩٥٨)، محمود شلتوت (١٩٦٣)، عبد الحليم محمود (١٩٧٨) محمد بىصار (١٩٨١) وغيرهم. ومن المصلحين جمال الدين القاسمى (١٩١٤)، ومن المفكرين الليبراليين محمد حسين هيكل (١٩٥٦)، عباس محمود العقاد (١٩٦٤)، ومن علماء الأزهر عبد المتعال الصعدي (١٩٥٨)، محمد أبو زهرة (١٩٧٤)، محمد غلاب (١٩٧٠)، محمد البهى (١٩٨٢)، أحمد حسن الباقورى (١٩٨٥)، سليمان دنيا (١٩٨٨)، محمد بن فتح الله بدران (١٩٧٠)

(٣) "الأجيال الجديدة فى حاجة مستمرة إلى تنشيط ذاكرتها بالتعرف على الرواد الذين كانت لهم بصمات واضحة فى تاريخها من أجل السير على نفس الدرب ومواصلة الطريق نحو التطور والتجديد فى الفكر وفى الحياة. وشبابنا فى أشد الحاجة إلى من يأخذ بيده ويملا الفراغ الفكرى الذى يحيط به، ويساعده على شق طريقه من أجل خدمة أمته والإسهام فى نهضتها"، السابق ص ٣.

(٤) السابق ص ٣٧.

(٥) هموم الأمة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١.

سنوات^(١). يتكون من ثلاثة أبواب، وكل باب من ثلاثة فصول. الأول مفاتيح الحضارة وتحديات العصر فى ضوء الأمر الإلهى وتحديات القرن الحادى والعشرين والإرهاب. والثانى دراسات فى ضوء الكتاب والسنة وهو عنوان عام لا يدخل مباشرة فى موضوع الكتاب ويتضمن مفهوم وحدة الأمة الإسلامية والقرآن الكريم وخصائص المجتمع الإسلامى، ورؤية إسلامية للمسئولية العالمية المعاصرة. والثالث الإسلام وتيارات الفكر الغربى وهو أيضا لا يتعلق بموضوع الكتاب مباشرة. ويتضمن الكتاب والاستشراق ودور مؤسسات الدعوة حىال الغزو الفكرى، ومستقبل الإسلام فى الغرب. إنما يأتى موضوع الكتاب فى الخاتمة العامة "حول هموم العالم الإسلامى" وهى تحليلات للواقع المباشر وليس دراسة للتراثين الإسلامى والغربى. يعادل الجبهة الثالثة "الموقف من الواقع" أو "التنظير المباشر للواقع" فى مشروع "التراث والتجديد". وهو يعبر بطريقة واضحة عما يشعر به الناس وما يقوله الدعاة، أقرب إلى خطب الجمعة العصرية حول ما ينبغى أن يكون المسلمون عليه من التعمير دون التخريب أى الإرهاب، والأخوة والتعاون، والاستتارة والتفكير العلمى ووحدة دون تجزئة ومساواة وتكافل وتعاون وتراحم ومحبة وشورى وعزة وثقة وتسامح. ولا يكفى نقد الآخر دون النقد الذاتى ومواجهة التحديات فى مرحلة حاسمة. وهو أقرب إلى الإسلام النصى، ما ينبغى أن يكون دون تحليل لواقع المسلمين وأوضاعهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية كما يفعل عالم الاجتماع. الواقع مستتبط من النص وليس مستقلا. ويتحول الأستاذ إلى داعية، والمفكر إلى خطيب ينتقى من النصوص ما يشاء.

و"الحضارة فريضة إسلامية" يبين ضرورة الانفتاح على حضارات العصر

(١) السابق ص ٨.

كما انفتح القدماء على حضارات عصرهم^(١). يتضمن ثلاثة فصول: الأول مفاتيح الحضارة، الإنسان والدين والإنسان والالتزام الأخلاقي. والثاني الحضارة فريضة إسلامية تكرر لعنوان الكتاب، التفكير، العلم، الوقت، العمل، حسن المعاملة، حقوق الإنسان، الجمال، الحفاظ على البيئة، الرفق بالحيوان، النظام. والثالث التجديد في الفكر الإسلامي، سنة الحياة، صور التجديد، التدرج، آلية التجديد، الإسلام والتتوير خاصة ابن رشد. وهو صغير الحجم نسبيا. يعطى ثقافة إسلامية مستنيرة. يستعمل المصطلحات الحديثة مثل التقدم وحقوق الإنسان مؤيدا إياها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

والمصلح هو الذى ينقل تراثه على مستوى العصر، ويجعله مستمرا عبر التاريخ. وهذا هو القصد من "الإسلام فى عصر العولمة"^(٢). والعولمة من أهم أحداث العصر. ويضم أربعة فصول: الأول الإسلام ومتغيرات العصر. والثانى الإسلام والغرب وهو أقرب إلى موضوع الاستشراق تاريخيا عن التراث العربى فى أوروبا أو مستقبليا عن مستقبل الإسلام فى الغرب أو الحالة الراهنة للعلاقة بين الشرق والغرب. والثالث من قضايا العصر، حوار الأديان، والحوار الحضارى، والاستتساخ البشرى. والرابع آفاق بشرية عن قضايا الإنسان والإسلام فى القرن الواحد والعشرين. وهو أقرب إلى وصف الواقع الحالى مدعما بالإحصائيات أكثر منه بالنصوص الدينية^(٣).

-
- (١) الحضارة فريضة إسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦. "من أجل تضافر الجهود لدفع مسيرة النهضة الإسلامية إلى المشاركة الجادة فى صنع الحضارة حتى تتبوأ الأمة الإسلامية المكان اللائق بها على خريطة العالم فى الألفية الجديدة وأن تترجم الآمال إلى أعمال على أرض الواقع"، السابق ص ٦.
- (٢) الإسلام فى عصر العولمة، مكتبة الشروق، القاهرة ٢٠٠١.
- (٣) السابق ص ١٤.

ويكتب المصلح الداعية المستتير "الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى"^(١). وهو أقرب إلى مجموعة من خطب الجمعة المستتيرة فى موضوعات الفضائل الخلفية كما هو الحال فى التصوف الخلفى عند رابعة والحسن والترمذى والبصرى وصوفية القرنين الثانى والثالث. وكلها حول الإنسان ذلك البعد الذى يبدو فى الظاهر ناقصا فى تراثنا القديم. وتكشف القيم عن الدين الباطنى كما هو الحال عند فلاسفة الأخلاق مثل شيلر ولافيل. تقوم على تحويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى تجارب إنسانية فردية وجماعية. وبعض التجارب دون نصوص^(٢)، فى بداية كل باب. ويضم الكتاب بابين. الأول الإنسان فى التصور الإسلامى وهو بالرغم من ضعفه خليفة الله فى الأرض. كرمه الله بالعقل وجعله كائنا مفكرا، مكلفا مستمرا، قادرا على العلم والعمل وعمارة الأرض، مسئولا عما يفعل، لا فرق بين ذكر وأنثى، له حقوق وعليه واجبات، وللآخرين وللبيئة كذلك. والثانى القيم فى التصور الإسلامى. منها ما يتغير بتغير العصر ومنها ما هو ثابت. وهى فطرية فى النفس مثل المسئولية والعلم والعمل والحرية والأمانة والوفاء والرحمة والتسامح والتواضع، والنظام والوقت والتعاون والصدقة والانتماء والبشاشة والأمل والتعالى أو المفارقة. وهى قيم مستقلة عن الرسالة والرسول فى آن واحد^(٣). لا فرق بين الآيات القرآنية والأمثال الشعبية فى دلالتها على التجربة الإنسانية^(٤). ويفسر النص عن طريق إيجاد مقابلة فى الواقع والمناظر الشعبية^(٥). الأفكار شائعة عند طبيى القلوب. والفكر بديهى يعبر عن الفطرة والحس السليم. يكفى النص أحيانا وأحيانا أخرى يشفع بالتحليل الإحصائى

(١) الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٤.

(٢) السابق ص ١٣-١٦/١٤٣-١٤٧.

(٣) السابق ص ١٥٧.

(٤) السابق ٢٠٥/٢٠٩/٢١٦/٢٢٦/٢٢٩.

(٥) السابق ص ٢٠٩.

للوامش. هي أقرب إلى الظاهريات الاجتماعية بلغة المحدثين دون مصطلحاتها وتعقيدها. ويحال إلى الثورة المصرية وإحدى شعاراتها في البداية "الاتحاد والنظام والعمل"^(٢).

وتتوالى الكتابات الإصلاحية في السنوات الأخيرة تحت وطأة المنصب الرسمي مثل "المسلمون في مفترق الطرق"^(٣). يبدأ من الواقع، لا من التراث القديم، ولا من التراث الغربي. وهو الجبهة الثالثة في مشروع "التراث والتجديد". بل هو الواقع الإحصائي لمزيد من الدقة^(٤). فالمسلمون لا ينفقون أكثر من ١% من دخلهم القومي على البحث العلمي. وهم يكونون ٦٠% من ماليزيا في مجتمع متعدد الأعراق والملل. كما يعتمد على التحليل الاجتماعي. ويبين أهمية التكافل الاجتماعي لحل مشكلة التفاوت الشديد بين الأغنياء والفقراء^(٥). ويحلل الأبعاد السياسية والاقتصادية للمجتمع دون الاكتفاء بوصف النص لما ينبغي أن يكون، ويترك ما هو كائن بالرغم من إدانته لظاهرة الإرهاب كما تفعل السياسات الرسمية وتقريظه للسلام^(٦). ويرد على الأحكام المسبقة لبابا روما في تصوره

(١) الحياض بالنصوص فقط، السابق ص ١٧٢-١٧٥، إحصائيات الواقع ص ١٧٧.

(٢) "وقد أدرك قادة الثورة المصرية عام ١٩٥٢ الأهمية البالغة لقيمة النظام في حياة المجتمع فجعلوا أحد عناصر الشعار الثلاثي الذي رفعته الثورة آنذاك وهو: "الاتحاد والنظام والعمل"، ولكن الأمر الأهم من رفع الشعارات الجميلة هو تفعيلها وتحويلها إلى واقع حياتي ملموس يتحقق بالتغيير الحقيقي لأنماط السلوك في المجتمع لما ينبغي أن يكون"، السابق ص ٢٠٧.

(٣) المسلمون في مفترق الطرق، دار الرشاد، القاهرة ٢٠٠٧.

(٤) السابق ص ٤٣/٥٠.

(٥) السابق ١٤٦.

(٦) السابق ص ١٢٣-١٢٩/١٧٧-١٨١.

للإسلام^(١). والتقريب بين السنة والشيعة ليس مصرياً فقط بل هو مصرى إيراني بمبادرة الشيخ شلتوت والشيخ القمى، وما زالت المؤسسة قائمة بنشاطاتها ونشراتها ومجلاتها برئاسة محمد على تسخيرى فى إيران بعد أن ماتت فى مصر^(٢). ويضم الكتاب ثلاثة أقسام: الأول المسلمون والمشكلة الحضارية عن الإسلام والعلم ونهضة ماليزيا، والإعجاز العلمى للقرآن، والتضامن الغائب بين المسلمين وأهمية التقريب بينهم. والثانى مفاهيم مغلوطة للدين مثل الإرهاب والشعارات الدينية والاتجار بها وغياب العقل والتكافل الاجتماعى واحتكار تفسير الدين. والثالث المسلمون فى عالم متعدد عن التنوع سنة الحياة وموقف الإسلام من العولمة، والقيم الاجتماعية والتفاعل الثقافى، والحوار بين الأديان، والحوار الإسلامى المسيحى، وحرية الاعتقاد والاعتراف بالآخر. والهدف هو إخراج العالم الإسلامى من أزمتة وعدم قدرته على التكيف مع أوضاع العالم المعاصر، وفقره، وصراعاته الطائفية، ويأسه، وغياب النقد الذاتى فيه، وعجز العلماء عن تشخيص دائها. يحتاج العالم الإسلامى إلى صحوه عقلية بما له من رصيد حضارى^(٣).

ويظهر المصلح، المفكر الداعية فى "الفكر الدينى وقضايا العصر"^(٤). يقوم على التنظير المباشر للواقع والتعبير عنه بأسلوب خطابى للمصلح وليس بأسلوب برهانى للفيلسوف. يعتمد على حديث المجددين وضرورة الاجتهاد واستمرار النهضة وإحياء مدرسة محمد عبده وضرورة تطهير الدين من الخرافات والتبرك

(١) السابق ٢٣٦-٢٤٩.

(٢) السابق ص ٩٧-١٠٢.

(٣) السابق ص ٧-١١.

(٤) الفكر الدينى وقضايا العصر، دار الرشاد، القاهرة ٢٠٠٦-٢٠٠٨.

بالرسول^(١). كما يعتمد على العقل أولاً قبل القرآن والحديث. ويضم خمسة فصول: الفكر الدينى والحقائق الغائبة، العقل الإنسانى ودوره فى التقدم الحضارى، قضايا معاصرة فى ضوء تعاليم الإسلام، الإسلام والغرب وقضايا الحوار، حوار مع الماضى البعيد. ويضم كل فصل عدة موضوعات يمكن جمعها فى ثمان محاور: الأول العقل والاجتهاد والتجديد والفلسفة والنقد ضد الخرافة. والثانى الحرية والسنن والقضاء. والثالث مقاصد الشريعة وحقوق الإنسان والقيم. والرابع التواصل الإنسانى والزواج العرفى والانتماء. والخامس المقاومة والأمن والإرهاب. والسادس التقدم والمستقبل والتراث والمعاصرة. والسابع الحوار الدينى، الإسلام والغرب والتسامح والوعى الحضارى. والثامن بشرية الرسول والإساءات له. فالخلل هنا مصدره الفكر الدينى وإصلاحه بإصلاح الفكر الدينى.

ويخاطب المصلح الجمهور فى كتيبات من خلال سلسلة "قضايا إسلامية" التى تصدر غرة كل شهر عربى^(٢). الأول "الدين للحياة" وهو ما حاوله التراث الغربى من قبل عند فلاسفة الحياة منذ شليرماخر وولتاى حتى برجسون وهوايتهد، ووليم جيمس وماكس شيلر. ويطور به محاولات المجددين مثل الطهطاوى ومحمد عبده والمراغى وشلتوت وإقبال ومالك بن نبي دون ما حاجة إلى إضافة ولى العهد البريطانى الأمير تشارلز أو وزير خارجية بريطانيا السابق روبرت كوك^(٣). ويحيل إلى المفكرين المعاصرين، الدعاة الإصلاحيين، مثل محمد الغزالى وخالد محمد خالد^(٤). ويضم خمسة فصول: اولاً الدين فى حياة الأفراد والجماعات، مع الحوار بين الأديان. ثانياً القيم والحياة بما فى ذلك العدل

(١) السابق ص ٥٥-٥٦.

(٢) الدين للحياة، قضايا إسلامية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٩.

(٣) السابق ص ٩٤-٩٦/١١١.

(٤) السابق ص ٢٣.

وحقوق الإنسان والسلام الاجتماعى والتوتر الطائفى. ثالثاً، تجديد الفكر الدينى دون تفصيل نظراً للتعرض لنفس الموضوع من قبل. رابعاً الإسلام والغرب، حوار أو تواصل والخلفية الفكرية للتصورات السلبية عن الإسلام فى الإعلام الغربى. خامساً ضرورة النقد فى حياتنا مبيناً أزمته بالرغم من وجوده فى الفلسفة الإسلامية. ويعتمد كل موضوع على نص من الكتاب أو السنة ثم وصف التجربة الإنسانية وراءه.

وطالما لجأت الحركات الإصلاحية إلى الشاطبى فى كتابه "المواقفات" لبيان أن الشريعة مقاصد كما فعل علال الفاسى والطاهر بن عاشور ضد الشكليات والمظاهر الخارجية فى الدين. وقد ظهر ذلك فى "مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد"^(١). يبدأ من الواقع مثل الانفجار السكانى فى مصر وزيادة السكان بما يزيد على المليون وربيع طفل سنويا مما يتطلب توفير الغذاء والكساء والتعليم لهم. ويتضمن قسمين: الأول مقدمات عامة حول الشريعة الإسلامية وخصائصها، والفقه الإسلامى وضرورة تجديده، ومبدأ الاجتهاد، وحركة الفكر الفقهى لدى القدماء. والثانى مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة، حفظ النفس والعقل والدين وصلة العقل به وحفظ النسل بضرورة تنظيمه وحفظ المال وضرورة التكافل الاجتماعى. ومقاصد الشريعة ترتبط بأصول الفقه أكثر مما ترتبط بالفقه ذاته لأنها أحد وسائل استنباط الأحكام وطرق الاستدلال. وتذكر المقاصد الخمسة المعروفة دون تطوير أو قراءة جديدة أو تطبيقات حديثة لها^(٢).

٥- الفيلسوف.

والآن بعد الصديق والأستاذ والمحاور والمصلح هناك الفيلسوف.

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد، قضايا إسلامية، وزارة الأوقاف، المجلس

الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٩.

(٢) السابق ص ٩٤-٩٥.

والفيلسوف هو روح المراحل كلها. هي المرحلة الثابتة الدائمة، مثل الصديق مهما تعددت الوظائف والمهام من الأستاذ إلى المحاور إلى المصلح. وهناك عدة تساؤلات له لمزيد من التوضيح والتطوير والدقة في نظامنا الفلسفي.

١- كيف يمكن الجمع بين الغزالي وابن رشد وهما على طرفي نقيض في الفكر الفلسفي، الصوفي والفيلسوف، "تهافت الفلاسفة" و"تهافت التهافت"، إنكار السببية وإثبات الضرورة، جعل الأشعرية عقيدة السلطان ونقد الأشعرية من أجل إفساح المجال لمعارضة السلطان؟^(١) اختار العالم الإسلامي الغزالي دون ابن رشد، واختار العالم الغربي ابن رشد دون الغزالي. فتخلف الأول، وتقدم الثاني. ففي كل المؤلفات يظهر الغزالي باعتباره نموذج الفيلسوف الإسلامي في نظرياته في المعرفة والأخلاق^(٢). فالغزالي هو الحل. مع أنه في تيارات أخرى عقلانية علمية تعددية، الغزالي هو المشكلة. دافع عن أيديولوجية السلطان في "الاقتصاد في الاعتقاد". ووصف الله باعتباره سلطانا، ووصف السلطان باعتباره إلهها. وهو أول من أضاف حديث الفرقة الناجية في كتب العقائد للدفاع عن الأشعرية ضد فرق المعارضة، المعتزلة والخوارج والشيعة. وأعطى الناس "إحياء علوم الدين"، أيديولوجية للطاعة تقوم على الصبر والتوكل والرضا والزهد والخوف والفناء. وألجم العوام عن علم الكلام. ليس المهم آراء الغزالي الجزئية بل قصده الكلي وموقفه من العقل والتعددية والسلطة.

يستشهد بالغزالي في حرية الإرادة مع أنه قد تم ابتلاعها في الإرادة الإلهية. ويذكر رأيه في السعادة مع تصنيف أنواع الخيرات من البدنية إلى النفسية إلى الروحية^(٣). ويستشهد به في وحدة العقل والدين^(١). وفي نفس الوقت

(١) مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص ٥١-١٤٢.

(٢) مقدمة في علم الأخلاق ص ٣٤-٣٥/١٠٠-١٠٢.

(٣) تمهيد للفلسفة ص ١٠٢.

يتم الاستشهاد به في وجود الإلهام من "إحياء علوم الدين"^(٢). فالغزالي مخزن كل شىء. وهو الفيلسوف النموذج في "مقدمة في الفلسفة الإسلامية"^(٣). تصنيفه للعلوم هو الأمتل، وفي صلة العقل بالدين هو الأحق. وفي القيم الأخلاقية هو المفضل مع مسكويه. وفي المقارنة مع الفلسفة الأوروبية هو الأوفق مع هيوم ومع الفلسفة النقدية. يوحد بين العقل والإيمان^(٤).

ويبرر الفيلسوف التصوف باعتباره تجربة إنسانية عامة. ومعظم الحركات الإصلاحية لها موقف نقدي منه^(٥). والنشر الوحيد ثلاث رسائل في المعرفة للغزالي^(١).

ويستشهد بالغزالي في أن العقل نور من الله وفي نفس الوقت يدافع عن ابن رشد ضد هجوم الغزالي على الفلسفة في "تهافت الفلاسفة"^(٦). ويحال إليه في مفهوم المصلحة وأنواعها^(٨). ويكثر الاستشهاد به في النص وفي الهوامش في "الإسلام وقضايا الحوار". ويلجأ إلى نصين متقابلين، الأول عن العقل، والثاني

(١) السابق ص ١٠٢.

(٢) السابق ص ١٥٨-١٦٢.

(٣) مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص ٢٣-٢٤/٥١-١٠٩/١٨٩-١٩٠-١٩٩/٢٠١-٢٠٣-٢٠٤.

(٤) هموم الأمة الإسلامية ص ٦١/٦٣. في الفلسفة والثقافة والسلام في الإسلام (بالإنجليزية) ص ٣٦.

(٥) مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص ١٦١-١٧٦.

(٦) من التراث المخطوط للإمام الغزالي، ثلاث رسائل في المعرفة لم تنشر من قبل، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٩.

(٧) الدين والفلسفة والتتوير ص ١٣/٨٤.

(٨) الحضارة فريضة إسلامية ص ٩٧.

عن الإلهام^(١). ويحال في "الإنسان والقيم في التصور الإسلامي" إلى الغزالي في نظرية المعرفة والسببية ومباهج الدنيا الثلاثة، النساء والطيب والصلاة، طبقاً للحديث الشهير^(٢). ويحال إلى الغزالي في "الإسلام والغرب" في ضرورة العلم بالمذهب موضوع النقد أكثر من واضح المذهب نفسه^(٣). ويحال إلى الغزالي في "المسلمون في مفترق الطرق" في "ميزان العمل" ومناهضته للتكفير، وتعريفه للعقل بأنه نور الله^(٤). وفي نفس الوقت يحيل إلى ابن رشد في أن دراسة ثقافات الأمم الأخرى واجب شرعي^(٥). ويحال إلى الغزالي في "الدين للحياة" في موضوعات الرحمة ونظرية المعرفة وسبقه لديكار في التوصل من الشك إلى اليقين^(٦). ويحال إليه مرة أخرى في دفاعه عن العقل ونقده للسببية^(٧).

٢- وإذا تم توظيف الثقافتين، الوافد والموروث، فإن الموروث يظهر على استحياء في عرض الوافد. كما يظهر الوافد على استحياء في عرض الموروث دون منطق دقيق في المقارنة بين الثقافتين. ظهر ذلك منذ البداية "المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكار"، فهو أقرب إلى عرض الغزالي منه إلى عرض ديكار على التساوي. الغزالي مرآة وديكار مرئى. والتركيز على المرآة أكثر من المرئى. وفي "مقدمة في علم الأخلاق" المادة كلها من الوافد سواء في المقدمات العامة أو نشأة علم الأخلاق وتطوره أو المقاييس الخلقية أو النظريات الأخلاقية

(١) الإسلام وقضايا الحوار ص ٩٧/١٦ (هوامش ص ٢٣/١١٤/٢٢٥). ويحيل إلى "المنقذ من الضلال" و"كيمياء السعادة" و"مشكاة الأنوار".

(٢) الإنسان والقيم في التصور الإسلامي ص ٥٤/١٢١/١٢٣.

(٣) الإسلام والغرب ص ٣١.

(٤) المسلمون في مفترق الطرق ص ٤٥/٩٢/٢٤٢.

(٥) السابق ص ١٧٤.

(٦) الدين للحياة ص ١٣/٩٤/١٤٥-١٤٩.

(٧) مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد ص ٧٨-٧٩/٩٤.

أو القيم والفضائل. يغلب عليها المنهج التاريخي الذي يعرض ويرصد ويقرر منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو في العصر الحديث مروراً بكانط. وتلحق الفلسفة الإسلامية في نظرية السعادة في نظريات أخلاقية أو في القيم والفضائل في الفضيلة لدى مفكرى الإسلام^(١). وفي "تمهيد للفلسفة" تظهر الفلسفة منتقلة من الشرق إلى الغرب كما هو الحال في المؤلفات الغربية. ويظهر التراث الإسلامى على استحياء، انتقالاً من اليونان إلى الغرب في "مفهوم الفلسفة في محيطها الإسلامى"، الكندى والفارابى وابن سينا والشريف الجرجانى قبل العصر الوسيط والعصر الحديث^(٢). كما يظهر في الفصل الرابع من المقدمات بعنوان "الإسلام والفلسفة" عن موقف الإسلام من العقل ودور الإسلام في تطور الفكر الفلسفى، وهو خارج نسق الفلسفة، مفهوم الفلسفة ومجالاتها. ولا يظهر في المباحث الفلسفية، المعرفة والوجود^(٣). بل إنه يذكر تواريخ ميلاد الفلاسفة المسلمين ووفاتهم بالميلادى وليس بالهجري^(٤). وما زال الإطار العام هو الفلسفة الغربية. فالعلاقة بين الفلسفة والعلم أو الفلسفة والفن مشكلة غربية أكثر منها إسلامية في حين أن العلاقة بين الفلسفة والدين أو الحكمة والشريعة أو النقل والعقل مشكلة إسلامية^(٥). ويغيب موقف الحنابلة والصوفية المعادى للفلسفة والنظر العقلى. فمهما تم إدخال الموروث في "التمهيد" فإنه يظل أقرب إلى الوافد^(٦). ولا يكفى ظهور الصوفية في مادة "إلهام". وفي "دراسات في الفلسفة الحديثة" يظهر التراث

(١) مقدمة في علم الأخلاق ص ٩٧-١٠٢/١٤٨-١٥٨.

(٢) تمهيد للفلسفة ص ٤٣-٤٦.

(٣) السابق ص ١٨/٣١/٥٤-٥٧/٨٧-١٠٥.

(٤) السابق ص ٤٤-٤٥.

(٥) السابق ص ٦٥-٧٠.

(٦) السابق ص ١٥٧-١٦٢.

الإسلامى عن بعد فى أسبقية المسلمين فى الوصول إلى منطق الاستقراء^(١). وهو من المؤهلين فى ذلك مثل جيل سابق^(٢). ويقل الوافد كلما كان الموضوع تجربة حية تعتمد على الشعر العربى^(٣).

وترجمة "مدخل إلى الفكر الفلسفى" لبوخينسكى تقتصر على الفلسفة الغربية دون مقارنات فى الهوامش مع الفكر الإسلامى. الهوامش للتعريف بأعلام الفلسفة الغربية فقط ومصطلحاتها. ويعطى قراءات غربية للفلسفة اليونانية خاصة أفلاطون^(٤). يحال فقط إلى الرسالة الأولى "المنهج بين الغزالى وديكارت"^(٥). وفيها يظهر الغزالى أكثر مما يظهر ديكارت بالرغم من عرض التراثين فى الباب الأول^(٦). الباب الثانى كله مدخل تاريخى فى الغزالى، عصره وحياته ومؤلفاته^(٧). ولا يوجد مدخل مشابه لديكارت. ربما لأن الرسالة مقدمة فى الغرب الذى يحتاج إلى معرفة أكثر عن الغزالى مما يحتاج عن ديكارت. ويحيل الباب الثالث "مقارنة بين المبدأ الفلسفى التأسيسى عند الغزالى وديكارت" إلى الغزالى أكثر مما يحيل إلى ديكارت^(٨). والباب الرابع "العقل ومجاله" معظمه فى الغزالى أكثر مما هو فى ديكارت^(٩).

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة ص ٣٠.

(٢) عثمان أمين، عبد الرحمن بدوى، أبو ريدة، زكريا إبراهيم، ومصطفى حلمى وغيرهم.

(٣) الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى ص ٢٠٢/٢٢٤.

(٤) مدخل إلى الفكر الفلسفى ص ٥٥.

(٥) السابق ص ١٠٠.

(٦) المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ص ٢٩-٦٠.

(٧) السابق ص ٦٣-٨٠.

(٨) السابق ص ٨٣-١٦٣.

(٩) السابق ص ١٦٧-٢٠٥.

ويُوظف التراثين الإسلامى والغربى دفاعا عن العقل واتحادهما فى الرشدية اللاتينية^(١). والتتوير مفهوم غربى يوضع تحته ابن رشد ومعظم الحركات الإصلاحية. ولكل حضارة مقولاتها^(٢). بل إنه يستعمل كعنوان فى "الدين والفلسفة والتتوير". ويُعاد التتوير فى الفكر الأوروبى^(٣). ويستعمل لعرض اتجاهات الفلسفة الإسلامية فى "مفهوم التتوير فى فكر ابن رشد"^(٤).

ويحال إلى التراث الإسلامى أكثر مما يحال إلى التراث الغربى فى "الإسلام وقضايا الحوار" بالرغم من أنه فى الأصل الألمانى موجه إلى الجمهور الأوروبى. ويستعمل لفظ "الأقليات" وهو لفظ غربى كى لا يستعمل فى التراث الإسلامى الذى يفضل الأمم والأقوام والشعوب^(٥). ويذكر المترجم تاريخ وفاة الفلاسفة المسلمين بالميلادى وليس بالهجري فى كتاب "فى الفلسفة والثقافة والسلام فى الإسلام"^(٦).

٣- مازال فى فكرنا الفلسفى فى مصر والوطن العربى والعالم الإسلامى أن المثالية أقرب إلى الإيمان من الواقعية، وأنها قرينة الدين والواقعية أبعد منه، وأن أفلاطون يقود إلى الله أكثر من أرسطو الذى يقود إلى العالم. وهى قسمة شائعة قد تصح فى المسيحية "مملكتى ليست من هذا العالم" ولكنها لا تصح فى اليهودية مملكة داود وسليمان ولا فى الإسلام، خلافة الإنسان فى الأرض. وهو ما اختاره أساتذة من قبل، توفيق الطويل وعثمان أمين وانتسابهما إلى المثالية

(١) الدين والفلسفة والتتوير ص ٨٥-٨٩.

(٢) السابق، مفهوم التتوير فى فكر ابن رشد ص ٧٥-٩٦.

(٣) الحضارة فريضة إسلامية ص ١٠١-١٠٢.

(٤) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص ١٣٠-١٤٢.

(٥) الإسلام وقضايا الحوار ص ٢٠٣.

(٦) On Philosophy, Culture and Peace in Islam p.33, 36 .

الخلقية أو المثالية الترنسندننالية. هناك تعارض بين السماوى والطبيعى، وهو التعارض التقليدى بين المثاليين والواقعيين^(١). اللذة والسعادة والمنفعة أقل قيمة من الحكمة والمعرفة والعلم والتقوى. يبدو التعاطف المبدئى مع كائنا. وإن تم نقده فهو نقد شائع، الصورية والشكلانية^(٢). وينقد التطرف المادى والتطرف المثالى ويدعو إلى الوسطية الإسلامية التى توظف أحيانا ضد جماعات المعارضة^(٣). وإذا تم نقد ليبنتز فمن رأى النقاد، رأى الآخرين.

لذلك يخصص قسم فى "التمهيد" لنقد المادية الجدلية، آرائها الأساسية ومضمونها أكثر مما يتم نقد المذاهب الروحية والثنائية^(٤). والدليل على ذلك انهيار الشيوعية عام ١٩٩١ فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية مستشهدا بسولشينشن الذى أعطاه الغرب جائزة نوبل عام ١٩٧٠^(٥). ويتمنى لشرانم الماركسيين العرب بنفس المصير. وماذا عن أزمة الرأسمالية ونظامها النقدى الذى بدأ فى الانهيار هذا العام ٢٠٠٩ وضاعت فيه مئات المليارات من ثروات النفط العربية المودعة فى البنوك الأمريكية؟ ويفضل أفلاطون على أرسطو. قد

(١) مقدمة فى علم الأخلاق ص ٦٦.

(٢) السابق ص ١٢٨-١٣١.

(٣) السابق ص ١٢٨-١٤٩/٢٦٧.

(٤) تمهيد للفلسفة ص ١٩٣/٢٠٣-٢٢١-٢٣٤.

(٥) "نود أن نشير فى هذه المقدمة أيضا إلى التطورات الهامة والتحولات الجذرية على المستوى الدولى وخاصة فيما يتصل بانهيار الشيوعية فى عقر دارها فيما كان يعرف حتى أواخر عام ١٩٩١ بالاتحاد السوفيتى ومن قبله فى دول الكتلة الشرقية فى أوروبا. فهذا الانهيار القاتل للتيار الماركسى يدعم بقوة ما عرضناه من نقد علمى للمادية الجدلية. أما الذين لا يزالون يتشبثون بأذيال الماركسية فى الصين وكوبا ومن خلفهم شرانم الماركسيين العرب فسيلقون نفس المصير إن عاجلا أو آجلا وإن غدا لناظره قريب"، السابق ص ٣-٤.

يجوز ذلك في المسيحية ولكن في اليهودية والإسلام تفضيل أرسطو على أفلاطون. فواقعية أرسطو وواقعية الإسلام متشابهتان. لذلك أعجب المسلمون بأرسطو وأصبح هو المعلم الأول^(١). وهذا هو الذى يجعل الفيلسوف يأخذ مواقف مسبقة لصالح المثالية ضد أحد أشكال الواقعية. والفلسفة بحث عن الحقيقة وليس الحكم عليها مسبقا. وإذا كان الغرض من الدراسات الفلسفية إثارة اهتمام الطلاب والبحث الجاد والعميق عن الحقيقة فإن معرفتها مسبقا يحيلها إلى قطعية وهى ضد روح التفلسف كما رأها كانط وتحول منها إلى الفلسفة النقدية^(٢).

٤- مازال الفيلسوف أسهل له وصف ما ينبغى أن يكون عن تقرير ما هو كائن. يتحدث عن الإسلام المثالى أكثر مما يتحدث عن حال الأمة وواقعها وكيفية تحقيق المثال فى الواقع أو توجيه الواقع نحو المثال. فالعجز عن تغيير الواقع والتعامل معه، فهما وتغييرا، يحوله إلى مقدس أو صنم أو إله. يصبح مثالا خارج الزمان والمكان كما فعل الصوفية. وإذا كان الفيلسوف خطيبا أو واعظا فإنه أسهل له التعبير عما يتمنى من تحليل الواقع المتشابك. عالم التمنى يحتاج إلى شعر. وعالم الواقع يحتاج إلى إحصائيات. وهذا هو الذى يدفع إلى استعمال منهج النص. فمازال الفيلسوف يعتمد على منهج النص ويستنبط منه الفكر بل والواقع فيأتى بإسلام مثالى لا وجود له فى الواقع. ويأخذ من النص موقفا انتقائيا، النص الذى يسهل الاعتماد عليه فى الدفاع، ويترك النص الذى يحتاج إلى ردود. فالأخلاق وأمر النصوص وليست تحليلا لسلوك الناس ودوافع البشر وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية^(٣). تتوالى النصوص واحدا تلو

(١) السابق ٢٤٧-٢٤٩.

(٢) تمهيد للفلسفة ص ٤.

(٣) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص ١٨١-١٩١.

الأخر وكأنها حجج بذاتها^(١). ويكثر من استعمال النصوص دون تحليل كامل لها لمعرفة اتجاهات المعنى ومقاصد النص في "الإسلام وقضايا الحوار". وتكثر الحجج النقلية أكثر من الحجج العقلية. وكثيراً ما تكون الآيات أو الأحاديث شائعة يتناقلها الناس فيما بينهم فأصبحت معلومات عامة^(٢).

٥- في مرحلة الأستاذ يعرض الفيلسوف المذاهب الفلسفية والأخلاقية تأليفاً وترجمة ومراجعة أكثر مما يناقش ويؤول ويقرأ ويفسر. صحيح أن الموضوعية والحياد مطلوبان، ولكن الفكر قراءة وتأويل وتجاوز. لا يوجد رأى إلا ويقابله رأى آخر. تاريخ الفكر ليس تاريخ أشياء أى تاريخ موضوعات بل هو تاريخ رؤى وآراء أى تاريخ ذوات. قراءة الفيلسوف غير قراءة المؤرخ. فقد قرأ الهيجليون هيجل، والكانطيون كانط، والماركسيون المعاصرون ماركس بطرق مختلفة.

٦- وقد تكون هناك مواقف سياسية غير مباشرة مثل الدفاع عن الوسطية باسم العقل^(٣). فالوسطية أولاً موقف اجتماعى سياسى يدافع عنها العقل. وهى أقرب إلى دعوة النظم السياسية القائمة ضد حركات المعارضة. فكل معارضة للحاكم توصف بالتطرف يمينا أو يسارا، إسلامية أو ماركسية. ويستطيع الإنسان أن يجد فى النصوص، الكتاب والسنة ما يرفض الوسطية^(٤). ويتكرر مفهوم الوسطية فى معظم المؤلفات حتى فى المقارنة بين المنهج الفلسفى عند الغزالي

(١) الإسلام فى مرآة الفكر الغربى ص ١٣٧.

(٢) بمعنى Common Knowledge، فى الفلسفة والثقافة والسلام فى الإسلام ص ٩٩/٨٤/٦١.

(٣) تمهيد للفلسفة ص ٩٩-١٠٤.

(٤) مثل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾.

وديكرت مع مبدأ الاجتهاد^(١). لذلك يكثر الهجوم على الماركسية تقريبا في كل كتاب. فهي صنم من أصنام العصر الحديث جاء الإسلام ليحرر الإنسان منها^(٢). ويكاد لا يخلو كل مؤلف من نقد للشيوعية. فالشيوعية شبيهة بالاستشراق منذ أصبح الإسلام هو العدو في الغرب بعد سقوط الشيوعية^(٣). وكان الفيلسوف أستاذاً بكلية الشريعة بقطر. كما يستعمل ألفاظاً حكومية رسمية مثل الإرهاب في "الإسلام وقضايا الحوار"^(٤).

٧- وأحيانا تعرض المذاهب الفلسفية خارج تطورها التاريخي والحضارى، فالوسيط المسيحي قبل الإسلامى، وكلاهما قبل اليونانى^(٥). وفى مباحث المعرفة الهيجلية والماركسية قبل الديكارتيّة^(٦). صحيح أن تاريخ الفلسفة أحد مجالات الفلسفة ولكنه يعبر عن تطور الوعي الذاتى، له غائته وليس مجموعة من المذاهب المتتالية المتراسة كما هو الحال فى الملخصات المدرسية. وفرق بين تاريخ هيجل أو فيورباخ أو حتى رسل للفلسفة وتاريخ برييه أو يوسف كرم. الأول فيلسوف يقرأ الفلسفة/ والثانى مؤرخ يقرأ مقاطع التاريخ.

مؤلفات الأستاذ الأولى لم تكن مقالات مجمعة فى أبواب وفصول بل كانت كتباً نسقية لها بنية داخلية. وكان أولها "مقدمة فى علم الأخلاق"^(٧). أما "مقدمة فى

(١) المنهج الفلسفى بين الغزالي وديكرت ص ٤٣-٤٤، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص ٤٠-٤٥.

(٢) الإسلام فى مرآة الفكر الغربى ص ٤٨.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ١٤.

(٤) الإسلام وقضايا الحوار ص ٢٥٥.

(٥) تمهيد للفلسفة ص ٤٣-٥٧.

(٦) السابق ص ٢٠٧-٢٦٧.

(٧) خمسة فصول: ١- مقدمات عامة. ٢- نشأة علم الأخلاق وتطوره. ٣- المقاييس الخلقية.

٤- نظريات أخلاقية. ٥- القيم والفضائل.

الفلسفة الإسلامية" مجموعة مقالات مجمعة في ثمانية فصول^(١). و"المسلمون في مفترق الطرق" مقالات مجمعة، معظمها أوراق قدمت في مؤتمرات وندوات محلية. معظم المؤلفات خاصة في مرحلة الحوار مع الغرب مقالات وبحوث وأوراق في مؤتمرات محلية ودولية تم تجميعها في أبواب وفصول^(٢). تمثل حدوسا قصيرة ومركزة، واضحة ومقنعة لجمهور المستمعين. ومعظم أعماله خاصة في مرحلتى المحاور والمصلح مقالات في مجلات وأوراق بحثية في مؤتمرات مجمعة طبقا لموضوعاتها في أبواب وفصول. بل إن "مدخل إلى الفكر الفلسفي" لبوخينسكى في الأصل الألماني كان عدة أحاديث في إذاعة بافاريا^(٣). و"الدين والفلسفة والتتوير" أربع مقالات في مناسبات مختلفة^(٤). وكتب "هموم الأمة الإسلامية" في مناسبات عدة^(٥). و"الإسلام في عصر العولمة" أيضا مجموعة من المقالات معظمها في جريدة الأهرام، الجريدة الرسمية للدولة، مجمعة في فصول. و"الإسلام وقضايا الحوار" أيضا مقالات كتبت في مناسبات

(١) "كتبت في مناسبات مختلفة وعلى فترات متباعدة"، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص ٣. و"الموضوعات التي اشتمل عليها هذا الكتاب تمثل مجموعة مقالات ومحاضرات تم إعدادها في السنتين الماضيتين ونشرها هنا دون تغيير أو تعديل"، الفكر الديني وقضايا العصر ص ٨.

(٢) وذلك مثل "الإسلام في تصورات الغرب"، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٧.

(٣) جوزيف بوخينسكى: مدخل إلى الفكر الفلسفي ص ١٣.

(٤) "عن الفصول الأربعة التي يشتمل عليها هذا الكتاب قد كتبت في الأصل في مناسبات مختلفة، وفي فترات متباعدة ولم يكن الهدف عند كتابتها أن تجمع في كتاب"، الدين والفلسفة والتتوير ص ٧. وهذه الفصول قد كتبت في الأصل في مناسبات مختلفة وعلى فترات متباعدة ولم يكن الغرض منها في الأساس أن تصدر في كتاب"، الإسلام والغرب ص ٦.

(٥) "هذه الفصول... كتبت في مناسبات مختلفة وفي أوقات متباعدة"، هموم الأمة الإسلامية ص ٨، الحضارة فريضة إسلامية ص ٥.

عدة باللغة الألمانية لجمهور أوروبي قبل ترجمتها للجمهور العربي^(١). وقى
الفلسفة والثقافة والسلام فى الإسلام" المترجمة إلى الإنجليزية عن العربية مقالات
مجمعة فى مناسبات عدة^(٢). وأحيانا يكون الكتاب أقرب إلى عرض كتب
الاستشراق الألمانى الذى غرق فيه الأستاذ ولم يخرج منه^(٣).

٩- تتكرر آيات وأحاديث بعينها فى كل مقال أو دراسة أو بحث تعبر عن
نفس الهموم مثل الاستخلاف فى الأرض والمسئولية والحرية والمساواة والجدل
مع الآخرين بالتي هى أحسن واحترام أهل الكتاب، والعقل، والعمل، والعلم كما
يفعل الداعية أو الخطيب. ويتجاوز التكرار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى
التحليلات ذاتها. فعشرات الصفحات مكررة من "المنهج الفلسفى بين الغزالى
وديكرت" إلى "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية" عن "دور الإسلام فى تطور الفكر
الفلسفى"، مبدأ الاجتهاد، وفكرة التوفيق أو الوسطية، ونظرة الإسلام إلى
التاريخ^(٤). كما يتكرر الفصل الأول، المعارف العقلية، العقل والحواس،
والمعارف الضرورية الأولية والمعارف الميتافيزيقية ومشكلة السببية، والفصل
الثانى عن علاقة العقل بالتصوف والنبوة، التجربة الروحية، الإلهام بين الصوفية
وأهل النظر، دور العقل، الفلسفة والتصوف فى فكر الغزالى، والعقل والنبوة،
إمكان النبوة وعلاقة العقل بالوحي وأنواع العلم، والعلم والاعتقاد^(٥). ويتكرر

(١) "الفصول التى يتضمنها هذا الكتاب سبق تقديمها إلى العديد من المؤتمرات والندوات فى

عدد من الدول الأوروبية"، الإسلام وقضايا الحوار ص ٦-٧.

(٢) On Philosophy, Culture and Peace in Islam p.7 .

(٣) الإسلام والغرب ص ٣٩.

(٤) المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكرت ص ٣٧-٥١، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص ٣٥-

٤٧.

(٥) المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكرت ص ١٦٨-٢٠٨، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية

ص ٧٦-١٠٩.

الحل الديكارتي لمشكلة الشك بين "المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت" ودراسات في الفلسفة الحديثة^(١). وتتكرر نفس النصوص من أبواب وفصول في أكثر من كتاب. ففي "الدين والفلسفة والتنوير" تتكرر نصوص من "مقدمة في الفلسفة الإسلامية"^(٢). وتتكرر ليس فقط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولا نصوص الفصول من كتاب إلى آخر بل أيضا الأفكار والرؤى يُعاد تشكيلها وتوظيفها حسب الموضوع مثل "الإسلام في عصر العولمة". وفي "في الفلسفة والثقافة والسلام في الإسلام" (بالإنجليزية) تتكرر عدة فصل من "مقدمة في الفلسفة الإسلامية" و"المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت"^(٣). وتتكرر عديد من التحليلات في "المسلمون في مفترق الطرق"^(٤)، و"الدين للحياة" مجموعة من المقالات كتبت في مناسبات عدة^(٥).

(١) المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ص ١٥٢-١٥٧، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص ٨٧-٩٣.

(٢) الدين والفلسفة والتنوير ص ٧٦-٩٤/٩٧-١١٤، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص ١٣٠-١٤٢/١٤٥-١٥٧.

(٣) On Philosophy, Culture and Peace in Islam p.9-56، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ص ٢٧-٤٨، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ص ٢٩-٦٢.

(٤) وسيلحظ القارئ الكريم تكرار بعض الأفكار في بعض الفصول، ولكننا لم نشأ أن نحذف منها شيئا نظرا لأن كل موضوع كان مرتبطا بالمناسبة التي أعد من أجلها، الإسلام والغرب ص ٦. "سوف يلحظ القارئ الكريم أن هناك بعض التكرار في بعض الأفكار أو الاستشهادات القرآنية وغيرها في بعض فصول الكتاب. ويرجع ذلك إلى أن موضوعات الكتاب قد تنبت في أوقات مختلفة، وفي مناسبات متفرقة"، المسلمون في مفترق الطرق ص ١١.

(٥) تتضمن الصفحات التالية مجموعة من المحاضرات والمقالات التي تم إعدادها في مناسبات مختلفة ونشر معظمها في صحيفتي الأهرام وأخبار اليوم في العامين الماضيين وبداية العام الحالي ٢٠٠٩، الدين للحياة ص ٥.

١٠- يخاطب الفيلسوف الجمهور العريض، العامة وليس الخاصة. فيستعمل القول الخطابي أكثر مما يستعمل القول البرهاني^(١). يخطب في الناس بدلا من مخاطبتهم. تسود الروح الأزهرية في المرحلة الثانية، المحاور للغرب، والثالثة، المصلح المهموم بقضايا الأمة. وفرق بين التساؤل الفلسفي البرهاني والدهشة الخطابية. وهو ما يفرض أسلوبه وطريقة عرضه وبساطته. ويجعل الفلسفة أقرب إلى القول الخطابي منها إلى القول البرهاني. وهي مراهنات الفيلسوف، مخاطبة الخاصة أم العامة؟

إن الأستاذ والمحاور والمصلح جوانب متعددة في شخصية الفيلسوف تجعله أكثر ثراء من الأستاذ الجامعي وحده الذي يخاطب الطلاب أو المحاور وحده الذي يتعامل مع الإعلام أو المصلح وحده الذي يحمل هموم الناس. هي أقوال ثلاثة للفيلسوف، البرهاني للأستاذ، والجدلي للمحاور، والخطابي للمصلح. وبالتالي يتغلب ابن رشد على الغزالي كما حدث في الغرب بدلا من أن يتغلب الغزالي على ابن رشد كما حدث لدينا.

(١) مثل "هل يحدث كل شيء في هذا الكون نتيجة لصدفة عمياء أم أن هناك قوة عقلية عظيمة تهيمن على هذا الكون وتسيطر على مصير هذا العالم؟ هل نحن أحرار في تصرفاتنا وأعمالنا أم أننا مجبورون كالريشة في مهب الريح لا حيلة لها في تحديد حركتها يمينا أو شمالا؟ هل نعرف الحقيقة الواقعة معرفة صحيحة أم أننا لا نعرف منها إلا أحد وجوهها ويبقى معناها العميق خافيا علينا؟"، تمهيد للفلسفة ص ٢٩-٣٠.